سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ راحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الثالثة [11 – 15]

تأليف د. أحمد خضر حسنين الحسن

الرسالة الحادية عشرة

تَنْبِيهُ أَهْلِ الإيمَانِ

إِلَى جَمَالِ التَّعَلُّقِ بِالقُرآنِ

تَعظِيمُهُ والخُشُوعُ عِنْدَ تلاوتِهِ وَرُوُحَانِيَّاته و أثَرُهُ في تَزْكِيَةِ النَّفْسِ و اكْتِسابِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ وشيءٍ مِنْ قَصَصِ ممَّنْ تأثَّرُوا بِهِ

تأليف

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصور شكل الإنسان فأحسنه تصويرا، ومنحه العقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرَّفه به من العلم ونوَّرقلبه تنويرا ، وهداه إلى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا، وأطلق لسانه فأذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا، و أنزل عليه كتابا منيرا، وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا، وألهم حُفّاظَه تلاوةً له وتحبيرا، وعلَّمَ عباده علومه تفهيما وتبصيرا، وضرَبَ فيه الأمثال ليزيل جهالة وتحييرا، وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفَّر فضلَه توفيرا، في الصدورمحفوظا وبالألسنة متلوا وفي الصحف مسطورا، (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) سورة الإسراء (9)، وجعل كل بليغ عن الإتيان بسورة مثله حسيرا. (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) سورة الإسراء (88) [1].

والصلاة والسلام على خيرسيدنا محمد النبي الأميّ خيرمَن تلا القرآن ورتَّله ترتيلا ، و أفضل من تأثَّربه فردده مجلِّاً له ومعظِّماً له تعظيماً ، فصلَّى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله الأطهاروخلفائه وجميع المهاجرين والأنصاروعلى بقية الصحابة الأخيار، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد : فقد كتبت هذه الرسالة ضمن سلسلة رسائل راحة الأرواح - وهي الحادية عشرة - من أجل أن يحقق المسلم والمسلمة الحب الحقيقي للقرآن الكريم فيتم له أحسن وصال وأجمل تعلق به فيقدمه على سائرالأعمال ويجعله أولى الأولويات بصورة جادة ومستمرة فله معه في كل يوم تلاوة بلسانه أو تدبر بعقله أو تأثربقلبه .

نحن جميعا أخي الكريم وأختي الكريمة نأكل ونشرب وندخل على صفحات التواصل الاجتماعي لا نكاد نتنازل عنها مهما كانت الأسباب والمشغوليات فهل حالنا كذلك مع كلام ربنا العظيم .

يجب علينا كما نشعرونحس بضرورة الطعام والشراب لأبداننا ، وتلك المو اقع لعقولنا ، فلا بد أن نصل إلى نفس المستوى من الإحساس بضرورة القرآن لتهذيب أخلاقنا وإحياء قلوبنا .

1/ لباب التأويل في معاني التنزيل -الخازن - المقدمة.

ومع وضوح ذلك و اقتناع الكثيرين من الناحية النظرية إلا أن الناظر إلى تعامل المسلمين مع القرآن الكريم - وهو أعظم كتاب أنزله الله تعالى - يرى العجب العجاب من جهل السواد الأعظم بقدره ، وهجره وعدم الاهتمام بتلاوته، ومن باب أولى تدبره و تعليمه أو الاهتداء بهديه والاسترشاد بحِكَمِه والاتعاظ بمواعظه ، مع أن الله تعالى (أَنْزَلَهُ لِنَقْرَأَهُ تَدَبُّرًا، وَنَتَأَمَّلَهُ تَبَصُّرًا، وَنَسْعَدَ بِهِ تَذَكُّرًا، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَنِيَ ثِمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ كِتَابُهُ الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوَصِّلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ. كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا، زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، وَكُلَّمَا بَجَسَتْ مَعِينُهُ فَجَّرَ لَهَا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ تَفْجِيرًا.

فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، وَالْمُنَادِي بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ: يَا أَهْلَ الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، نَادَى مُنَادِي الْإِيمَانِ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[الأحقاف: 31] .

أَسْمَعَ وَاللَّهِ لَوْ صَادَفَ آذَانًا وَاعِيَةً، وَبَصَّرَ لَوْ صَادَفَ قُلُوبًا مِنَ الْفَسَادِ خَالِيَةً، لَكِنْ عَصَفَتْ عَلَى الْقُلُوبِ هَذِهِ الْأَهْوَاءُ فَأَطْفَأَتْ مَصَابِيحَهَا، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهَا آرَاءُ الرِّجَالِ فَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا وَأَضَاعَتْ مَفَاتِيحَهَا، وَرَانَ عَلَيْهَا كَسْبُهَا فَلَمْ تَجِدْ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ إِلَيْهَا مَنْفَذًا، وَتَحَكَّمَتْ فِيهَا أَسْقَامُ الْجَهْلِ فَلَمْ تَنْتَفِعْ مَعَهَا بِصَالِحِ الْعَمَلِ .[2]

لقد جاءت هذه الرسالة - بفضل الله تعالى - لتجديد العهد بالقرآن ولنتعلم كيف نتدبره لأننا إذا تبرنا تأثرنا وإذا تأثرنا عملنا ؛ وكلما تدبرنا القرآن أحسسنا بجماله وحكمته وعظمته، بعكس الكتب البشرية التي ربما تتغير أفكارها بتغير الأحوال والظروف، أما القرآن فهو ثابت في حكمته متجدد في عطائه لا يستفيد من نوره إلا أولو الألباب .

2/ مقدمة مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين – لابن القيم .

لقد (غيَّر القرآن نفوسَ أتباعه، وأحْدث فيها زِلْزالًا شديدًا، فطهَّرهم من أدْران الجاهلية ومفاسِدِها، وزكَّاهم بآياته التي يقرؤونها على كلِّ حال، قائمين وقاعدين، ومُسْتَلْقِين ومضَّجعين، لا يَكلُّون ولا يَملُّون، حتى صار القرآنُ شغلَهم الشاغلَ، يتْلونه ويتدبَّرونه، و انصرفتْ هممُهم مما كانوا مشتغِلين به مِن مفاسدِ الجاهلية إلى حِفْظه واستِظهارِه، وتنافسوا في هذا المَيْدان تنافُسًا نقَشَه التاريخ على صحائِفه بأحرف من نور) [3].

وللوصول إلى ذلك لا بد لنا من الاسترشاد بما سطره علماء التفسيروجهابذة التأويل كابن كثير والقرطبي والجلالين والسعدي وغيرهم، والانتفاع بما كتبه ابن القيم في مدارجه والغزالي في إحيائه والهروي في منازله ، رحمنا الله و إياهم جميعا، فبذلك يصبح القرآن الكريم لذة حياتنا وبركة عيشنا وراحة نفوسنا وأشواق أرواحنا ، وقائدنا إلى الفردوس الأعلى إن شاء الله تعالى .

وقد جعلت عنوانها :

تَنْبِيهُ أهْلِ الإيمَانِ إِلَى جَمَالِ التَّعلُّقِ بِالقُرآنِ

لكي نتعلق به بألسنتنا فنكثر من تلاوة آياته ، ونتعلق به بعقولنا فنُعمل الفكر في تفهُّم معانيه وكلماته فنستقيم في تصوراتنا ، ونتعلق به بقلوبنا فنتأثر به خوفا ورجاء ورغبا ورهبا ، ونتعلق به في آمالنا فنرجو أن تعم أحكامه وتشريعاته بيوتنا وأسو اقنا ووزاراتنا ومصانعنا وشركاتنا بل يعم الحياة والأحياء.

هذا واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفعني بهذه الرسالة وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم وأن تكون سبباً في مغفرة ذنبي ورفع درجتي في الجنة وأن يفعل ذلك بالقارئ الكريم والقارئة الكريمة ، وجزى الله خيرا كل من قرأها أو نشرها .

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ : أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

ربيع الأول – 1442 / نوفمبر – 2020

3/ مقال : أهل القرآن - د. أنورإبراهيم منصور – شبكة الألوكة .

المبحث الأول

فضائل القرآن وأهله في ضوء الآيات القرآنية والسنة النبوية والآثار المروية

المطلب الأول : فضائل القرآن الكريم في ضوء القرآن والسنة .

المطلب الثاني : فضائل القرآن وأهله في ضوء السنة النبوية .

المحور الأول : فضائل القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية .

المحور الثاني : فضائل أهل القرآن في ضوء السنة النبوية .

المطلب الثالث : طائفة من أقوال السلف والعلماء في فضل القرآن وأهله واجتهادهم في الإكثار من تلاوته .

المحور الأول : طائفة من أقوال السلف والعلماء في فضل القرآن وأهله .

المحور الثاني : اجتهاد السلف والعلماء في الإكثار من تلاوته القرآن الكريم .

المطلب الأول

فضل القرآن الكريم في ضوء القرآن والسنة

مع أن كثيرا من النصوص التي تبين فضائل القرآن مشهورة معلومة لدى الكثيرين إلا أن مقتضيات البحث تحتم عليَّ الإشارة إليها والتذكير بها لكي ينتفع العالِم ويتعلم غير العالِم ، وكما قيل من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحيان .

وذلك عملا بقوله تعالى (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة الذاريات (55) والتذكير نوعان:

النوع الأول : تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول فإن الله فطر العقول على محبة الخير و إيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه مو افق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به ، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني : تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطاً وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، و اتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع الموعظة منهم موقعها كما قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} سورة الأعلى (9-11) .

وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئًا، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم [4].

* * *   * * *   * * *

4/ تفسير السعدي .

لقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بصفات كثيرة ، وذلك للفت الانتباه إلى عظمته وضرورة التمسك به فإن كل شيء كثرت صفاته دل ذلك على عظمته وأهميته ، قال الزركشي رحمه الله تعالى : (وقد صنف في ذلك الحرالي جزءا و أنهى أساميه إلى نيف وتسعين وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً). والأسماء المتضمّنة للصفات يصحّ اعتبارها أسماء ويصح اعتبارها أوصافاً [5].

3/ ولا بأس من أن نشير إلى بعضها هنا إجمالاً :

المجموعة الأولى: وهي طائفة من الأسماء التي تشير إلى ذات الكتاب وحقيقته، وهي:

1. الكتاب: قال تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" يوسف .2.
2. القرآن: قال تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي..." الإسراء .9.
3. كلام الله: قال تعالى: "فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ" التوبة .6.
4. الروح: قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا" الشورى .52.
5. التنزيل: قال تعالى: "وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الشعراء .192.
6. الأمر: قال تعالى: "ذَلِكَ أَمْرُاللَّهِ" الطلاق .5.
7. القول: قال تعالى: "وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ" القصص .51.
8. الوحي: قال تعالى: "إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ" الأنبياء .45.

المجموعة الثانية: وهي الطائفة التي تشير إلى صفات القرآن الذاتية.وذلك كالأسماء التالية:

1. الكريم: قال تعالى: "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ" الو اقعة .77.
2. المجيد: قال تعالى: "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ" البروج .21.
3. العزيز: قال تعالى: "إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ" فُصِّلت .41.
4. الحكيم والعلي: قال تعالى: "وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ" الزخرف .4 .
5. الصدق: قال تعالى: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ" الزمر .33.
6. الحقّ: قال تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ" آل عمران .62.
7. المبارك: قال تعالى: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ" ص .29.
8. العَجَبُ: قال تعالى: "قُرْآناً عَجَباً" الجن .29.
9. العلم: قال تعالى: "وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ" الرعد .37.

المجموعة الثالثة: وهي الطائفة التي تشير إلى صفات القرآن التأثيرية، والمتجسدة في علاقة القرآن بالناس.

وهي الأسماء التالية:

1. الهدى: قال تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" البقرة .2.
2. الرحمة: قال تعالى: "هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ" لقمان .3.
3. الذكر: قال تعالى: "وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ" الأنبياء .5.
4. الموعظة: قال تعالى: "هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ" آل عمران .138.
5. الشفاء: قال تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ" الإسراء .82.
6. التذكرة: قال تعالى: "كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ" المُدَّثر .54 .
7. المبين: قال تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" يوسف .2.
8. البلاغ: قال تعالى: "إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ" الأنبياء .105.
9. البشير والنذير: قال تعالى: "بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ" فُصِّلَتْ .4.
10. البصائر: قال تعالى "هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ" الجاثية .20.

ونحن في هذه العجالة نريد الوقوف على بعض تلك الصفات لبيان فضائل القرآن من خلالها ليتعرف المؤمن على ما امتنّ الله به عليه بإنزاله هذا الكتاب العظيم ؛ لأن التفكر في معاني أسماء القرآن وصفاته، وتأمّل دلائلها العظيمة، و آثارها المباركة يفتح للمؤمن أبو اباً من اليقين النافع الذي يجد أثره في قلبه ونفسه، ويعرّفه بفضله وعُلُوِّ قَدْرِهِ وَعِظَمِ شأنه، ويرغّبه في تلاوته وتدبّره و اتّباع هداه. ، فأقول سائلا الله تعالى السداد والقبول ، **من ذلك ما يأتي**[6]:

1- وصف الله تعالى القرآن بأنه بشرى للمؤمنين:

قال تعالى: (طس تِلْكَ آَيَاتُ القرآن وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (النمل:1-3)

قال قتادة رحمه الله : جعل الله هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين؛ لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه ووعاه وانتفع به واطمأن إليه وصدق بموعود الله الذي وعده فيه، وكان على يقين من ذلك"

وقال مقاتل بن سليمان-رحمه الله-: **هُدًى** يعني: بيان من الضلالة لمن عمل به، **وَبُشْرَى** لما فيه من الثواب. **لِلْمُؤْمِنِينَ** : يعنى للمصدقين بالقرآن بأنه من الله ﷻ.

قال الإمام الطبري رحمه الله : وأما البشرى فإنها البشارة، أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه أن القرآن لهم بشرى منه؛ لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وماهم إليه صائرون في معادهم من ثوابه. وذلك هو البشرى الذي بشر الله بها المؤمنين في كتابه؛ لأن البشارة في كلام العرب هي: إعلامُ الرَّجُلِ الرّجلَ ما لم يكن به عالمًا مما يَسُرُّه من الخير قبل أن يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره."

ثم قال-رحمه الله-:" وقوله : **وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد ". أهـ

وقال تعالى: **{وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}** الأحقاف (12)

وقال تعالى : **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** النحل (89).

ووصفه هنا بأنّه بشرى مع التنبيه على أن التبشير من مقاصد إنزاله دليل على عظيم أثر بشاراته، وعظيم حاجة النفس البشرية للتبشير بما تنال به سعادتها وفلاحها.

---

11. البيان: قال تعالى: "هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ" آل عمران. 138.

12. النور: قال تعالى: "وَ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً" النساء. 174.

6/ معظم هذه المادة من كتاب : الكتاب الجمع للفضائل (23) - فضائل القرآن وأهله – تأليف – الشيخ ندا أبو أحمد ، وموقع ملتقى أهل التفسير ، وموقع معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد - بتصرف .

وتنويع وصف المبشَّرين به دليل على تفاضل بشاراته؛ فهو بشرى للمسلمين، وبشرى للمؤمنين، وبشرى للمحسنين؛ وبين تلك المراتب من التفاضل العظيم في البشارات ما لا يعلمه إلا الله **{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}** آل عمران (163) .

فترتُّب البشارات على العمل وعلى بصر الله تعالى به تنبيه على معيار التفاضل، وحضّ على اغتنام أيام المهلة في الازدياد من بشاراته العظيمة.

وكلما قوي أثر التبشير على القلب ازداد إقبالاً على ما بُشّر به؛ وحرصا على تحقيق ما ينال به تلك البشرى، واحترازاً مما يحول بينه وبينها؛ فيثمر له ذلك من أنواع العبودية في القلب ما يثمر:

1. **فتزداد محبّة الله** في قلبه لشهود منّته بتلك البشارات.
2. **ويزداد الرجاء لعظيم** الاشتياق لها وتيسّر سبلها مع الوعد الكريم من الرحمن الرحيم.
3. **ويزداد الخوف من فواتها** بعد أن تبوّأت مكانتها في القلب، وعرف قدرها وفضلها.

فيجتمع لقلب المؤمن بتلك البشارات من المحبة والخوف والرجاء ما يكون به صلاح عبوديته لله تعالى، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله[7].

* * *　　　* * *　　　* * *

2- وصف الله تعالى القرآن بأنه كريم :

قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة 75-80) .

قال الإمام ابن الجوزي-رحمه الله-:" ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾ والكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو معظم عند الله ﷻ ".أهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله :" ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾ قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه، وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه. وقيل" كريم" أي: غير مخلوق.

وقيل: ﴿**كَرِيمٌ**﴾ لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور. وقيل: لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه ".

قال الشيخ السعدي رحمه الله :" ﴿**كَرِيمٌ**﴾: أي كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم إنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه ". أهـ

7/ وقد يسر الله تعالى لي فاستخرجت المبشرات القرآنية في الدنيا لأهل الإيمان في كتاب أسميته : آيات مبشرات للمؤمنين والمؤمنات (منشور في موقع صيد الفوائد، ولله الحمد والمنة) .

ووصف القرآن بالكريم في غاية الوصف، والكريم الشريف، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الشريفة.

ومن كرم القرآن :

- أن الله أنزل به ملكًا كريمًا، على رسول كريم، إلى أمة كريمة، في ليلة كريمة مباركة.
- كريم لأنه كتاب معطاء ، يعطي الثواب الجزيل على من قرأ حرفاً واحداً كما قال النبي ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)** رواه الترمذي وقال حسن صحيح كما رواه غيره .
- لأن جميع أرباب العلوم والمعرفة يغترفون منه وهو معين لا ينضب؛ فتجد الأصولي والفقيه والنحوي والأديب والمفكر والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والطبيب والمشرع والحاكم كلهم يأخذون منه ويستدلون بآياته ومع ذلك يبقى خالداً معطاءً .
- كتاب كريم حيث يكرم حافظه ويرفعه درجات قال : **(حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة)** رواه الطبراني .

* * *　　　* * *　　　* * *

3- وصف الله تعالى القرآن بأنه مبارك:

قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} (الأنعام:92) .

وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ} (ص:29) .

والبركة : هي الزيادة. ووصفه البركة لكثرة خيراته وسعة مبراته. فهو كثير خيره، دائم بركته ومنفعته، وكون الذي باركه هو الله تعالى له آثار عظيمة على بركته؛ فهي بركة من العليم القدير الحكيم الواسع الأكرم؛ فاتّسعت بركته وعظمت، حتى كان مباركاً في كل شيء فلا يحرم بركته إلا شقيّ محروم.

فمن بركاته: هداياته العظيمة التي يهدي بها للتي هي أقوم في كلّ شيء.

ومن بركاته: شفاؤه لما في الصدور، ولأدواء النفوس والأبدان.

ومن بركاته: ما يفيد من العلم والحكمة واليقين، والبصيرة في الدين.

ومن بركاته: ما يحصل به من جلاء الحزن، وذهاب الغم، ونور الصدر، وطمأنينة القلب، وسكينة النفس.

ومن بركاته: ما يكون لتاليه من زيادة الإيمان، وصلاح البال، وذهاب كيد الشيطان.

ومن بركاته: عِزّة أصحابه باتباعه، وثباتهم على الحق بتمسّكهم به، وتبصّرهم به في مواضع الفتن، وما يحصل لهم به من الفرقان العظيم بين الحق والباطل، والخروج من الظلمات إلى النور.

ومن بركاته: أنه يرفع أصحابه، ويكرمهم، ويكون لهم بسببه قَدْرٌ عظيم ومنزلة عالية.

ومن بركاته: أنه مبارك حيثما حَلّ؛ فالبيت الذي يُتلى فيه يكثر خيره ويتّسع بأهله، والصدر الذي يحفظه يتّسع وينفسح، والمجلس الذي يُتلى فيه تتنزّل عليه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفّه الملائكة ويذكره الله فيمن عنده، حتى إن الوَرَق الذي يُكتب فيه لَيَكون له شأن عظيم بعد تضمّنه لآياته، وتكون له حرمته وأحكام الكثيرة في الشريعة.

وأما بركاته في الآخرة فبركات عظيمة جليلة، فهو مبارك على المؤمن في قبره، وفي الموقف العظيم، وفي الحساب، وفي الميزان، وفي الصراط، وعند ارتقائه في درجات الجنة.

4- وصف الله تعالى القرآن بأنه سبب في زيادة الإيمان :

فمن أراد زيادة الإيمان فعليه بكتاب الله،**قال تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}** (الانفال:2)

وقال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (التوبة:124) .

يقول جندب رضي الله عنه : كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيانٌ حَزَاوِرَةٌ[8] فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"يدخل في معنى هذا قوله ﷺ (**خيرُكم مَنْ تعلم القرآنَ وعلمَه**) رواه البخاري أي تعليم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول عن تعليم حروفه؛ وذلك هو الذي يزيد الإيمان." أهـ[9].

5- وصف الله تعالى القرآن بأنه: طمأنينة للقلب:

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:28).

8- نزهة الفضلاء (383/1) حَزَاوِرة: جمع حَزْوِرٍ: وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع (النهاية في غريب الحديث والأثر:380/1) .

9/ مجموع الفتاوى(403/13) .

قال كثير من أهل العلم :" إن المراد بالذكر هنا هو القرآن، وهو أعلى أنواع الذكر، وذلك لقوله تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** (الحجر:9) **ولقوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا}**. (طه:125) .

نقل ابن كثير رحمه الله :عن الضحاك والسدى وقتادة رحمهم الله أنهم قالوا: " والمقصود بالذكر في الآية هو القرآن ". أهـ فبقراءة القرآن يطمئن القلب وينشرح الصدر، وتسكن النفس، ويهدأ البال، ويرتاح الخاطر.

* * * * * * * * *

6- وصف الله تعالى القرآن بأنه ونور:

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى:52).

وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (ابراهيم:1) .

فالقرآن هو **النور** الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية".

فهو نور يضيء الطريق للسالكين؛ ويذهب عنهم ظلمة الشرك والعصيان وآثارها؛ فمن استضاء **بنور القرآن** أضاء له سبيله، وأبصر الحقائق، وعرف ما يأتي وما يذر، وكان على بيّنة من ربّه؛ حسن المعرفة بصراطه المستقيم، وبكيد الشيطان الرجيم، وعلل النفس المردية.

ومثل العبد في هذه الحياة الدنيا كمثل السالك في صحراء مظلمة مليئة بالمخاوف والهوامّ والسّباع وفي تلك الصحراء طريق آمن محصّن؛ ولا تُعرف معالم هذا الطريق إلا بنور يضيء لصاحبه حتى يعرفه؛ فمن سار في الظلمة تخبّط في سيره وتعرّض للمخاوف، ولم يصل إلى مأمنه، ومن استضاء بالنور أبصر الطريق المحصّن، وسار فيها آمنا، وكان على حذر من الزيغ عنه إلى مفاوز الظلمات الموحشة.

فالقرآن هو النور المبين الذي يستضاء به ليبين السبيل للسالكين، ويخرجوا من الظلمات إلى النور، ومن سبل الشياطين الموحشة المضلّة إلى صراط الله المستقيم.

وقد وصف الله نور القرآن بأنه نور مبين كما قال الله تعالى: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا}** النساء (174).

وقد فسّر بمعنيين صحيحين:

أحدهما: أنه مبين بمعنى بَيّن أي ظاهر واضح يعرف أنه هو الحق لنوره الذي يميّزه عن غيره، ولهذا المعنى نظائر كثيرة في القرآن الكريم وفي كلام العرب.

والمعنى الآخر: أنه مُبين بمعنى مُبيّن؛ لما فيه من بيان الحق والهدى للناس.

والمستنير بنور القرآن يتبيّن به حقائق الأمور، وسنن الابتلاء، وعواقب السالكين، ولا تغرّه مكائد الأعداء، وظواهر الفتن الخدّاعة، وحيل النفس الخفيّة، في حصن حصين من فتن الشبهات والشهوات لما يرى من قبحها وسوء عاقبتها إذ تبدّت له بوجهها الحقيقي المنفّر؛ يبصر فيها لا كبصر غيره، ويسمع فيها لا كسمع غيره؛ **{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}** هود (24) .

وهو بهذا البصر المستنير بنور القرآن في حياة حقيقية؛ قد خرج من أسر الظلمات، ووجد حقيقة الحياة وطعمها وتبيّنت له غايته التي يسعى إليها، وطريقه الذي يوصله إلى غايته. **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** الأنعام (122) .

وهذا النور ملازم للانفساح وانشراح الصدر؛ لأنه يرى من آفاق السعة ورفع الحرج وكثرة أبواب الفضل والرحمة والمخارج من المضايق ما يدفع عنه الشعور بالضيق الناتج عن ضعف إبصارها لدى من قلّ نصيبه من الاستنارة بنور القرآن.

وهذا يطلعك على تفاوت الناس في الاستنارة بنور القرآن؛ وأعظمهم نصيباً منه أشرحهم صدراً وأزكاهم نفساً وأحسنهم بصيرة؛ قد انصرفت همّته إلى إحسان العمل وتجنّب الإثم؛ فازداد هداية وانشراحاً واستنارة بنور الله.

* * *   * * *   * * *

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال (عليك بتقوى الله؛ فإنه رأسُ الأمرِ كلِّه)، قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نورٌلك في الأرض، وذخرٌلك في السماء). أخرجه ابن حبان بسند حسن وهو في **صحيح الترغيب والترهيب(1422)** .

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض) السلسلة الصحيحة(555) وصحيح الجامع(2543) .

قال جندب رضي الله عنه : أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن فإنه نور بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرضَ بلاءٌ فقدم مالك دونَ دينك، فان تجاوز البلاء، فقدم مالك ونفسك دون دينك فإن المخروبَ من خرب دينُه، والمسلوب من سُلب دينه، واعلم أنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار[10].

* * *　　　* * *　　　* * *

7- وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء :

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (يونس:57)

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} (فصلت:44)

والقرآن شفاء يستشفي به من علل الجسد والروح:

فهو شفاء للقلوب بإزالة الريب والشك وكشف الغطاء عن القلب من مرض الجهل فيرى بنور البصيرة طريق الحق الدال على الله تعالى وكذلك القرآن شفاء من الأمراض الجسدية وذلك عن طريق الرقى والتعوذات.

عن عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها) أخرجه البخاري ومسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:" كنا في مسيرلنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم[11]، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمرله بثلاثين شاة وسقانا لبناء فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أوكنت ترقي؟ قال لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئا حتى نأتي أونسأل النبي ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: (وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم) متفق عليه .

وأخرج ابن حبان عن عائشة-رضي الله عنها-: قالت:" إن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها، أوترقيها، فقال عالجيها بكتاب الله ". صحيح الجامع(3969) والصحيحة(1931).

10/ نزهة الفضلاء –(258/1) .

11/ سليم : أي لدغته حية، وكانت العرب تطلق على المريض كلمة سليم تفاؤلًا، كما يطلقون على الصحراء المهلكة مفازة، وكل هذا من باب التفاؤل.

والقرآن أيضًا شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، وهو أيضًا شفاء من الطمع والحسد والغل لأنه يزرع في القلوب الرضا، وهو أيضًا شفاء من الهوى ونزغات الشيطان، وغير ذلك من الأمراض القلبية والجسدية.

* * *   * * *   * * *

المطلب الثاني

فضائل القرآن وأهله في ضوء السنة النبوية

المحور الأول : فضائل القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية .

المحور الثاني : فضائل أهل القرآن في ضوء السنة النبوية .

المحور الأول

فضائل القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية

لا يخفى على مسلم كثرة الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان ما يتعلق بالقرآن من فضائل وفوائد وأحكام ول لأهله من المنزلة عند الله وعند الناس وذلك من نصحه عليه الصلاة للأمة حيث بين لهم وقد قام الشيخ ندا أبو أحمد بجمع الأحاديث المتعلقة بالفضائل وخرجها فجزاه الله خيرا وها أنا أنقلها هنا بشئ من التصرف إفادة للقارئ الكريم [12]:

1-القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة:

فقد أخرج الإمامُ مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلتْ عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفتهم الملائكةُ وذكرهم اللهُ فيمن عنده، ومن بطَّأَ به عملُه لم يسرعْ به نسبُه) [13].

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:" كان رجلٌ يقرأُ سورةَ الكهفِ، وعنده فرسٌ مربوط بشطنين[14] فتغشته سحابة[15] فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فقال: " تلك السكينة تنزلت للقرآن ".

وفي رواية: قال أبو إسحاق: سمعتُ البراء رضي الله عنه يقول: قرأ رجل سورة الكهف، وله دابة مربوطة، فجعلت الدابة تنفر فنظر الرجل إلى سحابة قد غشيته أو ضبابة، ففزع فذهب إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:" اقرأ فلان! فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو عند القرآن ".

(رواه الإمام أحمد وهو في الصحيحة:1313) .

2- القرآن يفرج اللهُ به الهمَّ ويذهب به الغمَّ :

فقد أخرج الإمام أحمد و ابن حبان بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما أصاب أحدًا قطُّ همٌ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبُدك و ابنُ عبدك، و ابنُ أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به

12/ الكتاب الجمع للفضائل (23) - فضائل القرآن وأهله – تأليف – الشيخ ندا أبو أحمد – بتصرف .

13/ من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه: أي من أخّره عمله السيء وتفريطه في العمل الصالح، لم ينفعه في الآخرة شرف النسب (النهاية في غريب الحديث:134/1) .

14/شطنين: تثنية شطن، وهو الحبل الطويل، و إنما ربطه بشطنين، لقوته، وشدته

13/ فتغشته سحابة: أي علته سحابة.

نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآنَ ربيعَ قلبي[16]، ونورَصدري وجلاءَ حزني، وذهابَ همي؛ إلا أذهبَ اللهُ همه وحزنه، و أبدله مكانَه فرحًا. فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها، فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) .

(صحيح الترغيب والترهيب:1822) (الصحيحة:3528).

وقال محمد بن واسع رحمه الله : " القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في رياض نضرة."

* * *　　　* * *　　　* * *

3- القرآن خير من الدنيا وما فيها :

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم، وأهل المناصب بمناصبهم، وأهل الأموال بأموالهم، فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: (أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاثَ خَلِفَاتٍ[17]عظام سمان؟ قلنا: نعم. قال: فثلاثُ آياتٍ يقرأ بهم أحدُكم في صلاته خيرٌله من ثلاثِ خلفات عظام سمان).

وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفة، فقال: (أيكم يحبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَانَ وإلى العقيق فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْن[18] في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم [أو] يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خيرله من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الأبل).

4- القرآن وصية النبي صلى الله عليه وسلم:

والنبي ﷺ كان يُوصى أمته بالقرآن، وبعد عرض جملة من فضائل الفضائل يتضح لك جليًا لماذا كان النبي ﷺ يوصى بذلك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه وقد سئل: هل أوصى رسول الله ﷺ ؟ قال: (أَوصى بكتاب الله عزوجل).

16/ ربيع قلبي: جعل القرآن ربيع قلبه، لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان ويميل إليه.

15/ خلفات: الواحدة خلفة وعشراء، وهي الحامل من النوق إلى أن يمضي علها نصف أمدها، ثم هي عشراء، وهي من أعز أموال العرب. "النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:68/2".

18/ كَوْمَاوَيْن: مثني كوماء، بفتح الكاف، وسكون الواو، وبالمد: هي الناقة العظيمة السنام (المصدر السابق:211/4)

والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حِسًّا ومعنًى، فيُكرم، ويُصان، ويُتّبع ما فيه، فيُعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه، وتعليمه، ونحو ذلك" (فتح البارى:67/9)

وقد مربنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله- تعالى- وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض).(صحيح الجامع:2543) (الصحيحة:555)

وأخرج ابن حبان من حديث أبي ذرﷺ، قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: (أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله، قلت يا رسول الله زدني، قال: "عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نورلك في الأرض، وذخرلك في السماء) (صحيح الترغيب والترهيب 1422) .

وأخرج الإمام مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:" قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا بماءٍ يُدعى خمًا بين مكةَ والمدينة فحمد الله و أثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشريوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي).

وفي رواية عند مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لهم في غديرخم-بين مكة والمدينة-:

(و أنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، [هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به). فحث على كتاب الله، ورغَّب فيه .

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أيوب الأنصاري عن عوف بن مالك-رضي الله عنهما- قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب فقال: (أطيعوني ماكنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله، وحرموا حرامه).

* * * * * * * * *

5- القرآن سبب في حفظ الأمة من الزيغ والضلال:

فقد أخرج الحاكم والترمذي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: **أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع، فقال: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما**

تحقرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه). (صحيح الترغيب والترهيب:40) .

-وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض) . (صحيح الجامع:2937) .

وقد مربنا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي شريح الخُزاعي رضي الله عنه قال:خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، و أني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا) (صحيح الترغيب والترهيب:38) (الصحيحة:713) .

ومربنا كذلك الحديث الذي رواه البزاروالطبراني في الكبير من حديث جبير بن مُطعم رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ بالجحفة فقال:(أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أني رسول الله، وأن القرآن جاء من عند الله؟ قلت: بلى، قال: أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدا) (صحيح الترغيب والترهيب:39) و(صحيح الجامع:34) .

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: أن ﷺ قال في خطبته في عرفات: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، و أنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك بلغت، وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس:" اللهم أشهد، اللهم أشهد، اللهم أشهد) .

* * * * * * * * *

6- القرآن سبب في كثرة الحسنات :

- فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: "ألم" حَرْفٌ، ولكن: ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ) (صحيح الجامع: 6469) (الصحيحة 3327).

- وفي رواية:(اقرؤوا القرآنَ، فإنّكم تُؤْجَرُون عليه، أَمَا إني لا أقولُ ﴿آلم﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ عشرٌ، ولامٌ عشرٌ، وميمٌ عشرٌ، فتلكَ ثلاثونَ) (أخرجه الخطيب والديلمي عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا وهو في صحيح الجامع:660) .

وعندما تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بدون البسملة، وهي سبعة وأربعون حرفًا، فلك بها سبعون حسنة وأربعمائة. فتصبح سورة الإخلاص بالبسملة: ستة وستون حرفًا، بكل حرف عشر حسنات،

فتتحصل بقرأتها على ستمائة وستين حسنة. فإذا قرأت كل يوم ثلاثة أجزاء من القرآن، وبحساب أن لكل حرف عشر حسنات فهذا يعدل حوالي نصف مليون حسنة تقريبًا يوميًا.

بل انظر إلى هذا الفضل العظيم، وهو أنك تستطيع أن تتحصل على ملايين من الحسنات في أقل من دقيقة.

فقد أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عدلت له ربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدلت له ثلث القرآن) (صحيح الجامع: 6466) .

* * *   * * *   * * *

7- القرآن سبب في الوصول إلى محبة الله -عزوجل-:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها-:" أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية [19]، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم ب" قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن: فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله يحبه) .

وقراءتك في المصحف سبب لمحبتك لله ورسوله ﷺ :فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان و أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ (من سَرَّه أن يحبَّ اللهَ ورسولَه فليقرأ في المصحف) [20].

19/ السرية: هي القطعة من الجيش، أو الجيش الصغير، وتسمى الكتيبة أيضًا، وهي في العادة نحو 400جندى.

20/ صحيح الجامع – حديث رقم (6289) ، قال الزركشي : هل القراءة في المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟ ثلاثة أقوال : أحدها : أنها من المصحف أفضل ; لأن النظر فيه عبادة ، فتجتمع القراءة والنظر ، وهذا قاله القاضي الحسين والغزالي ، قال : وعلة ذلك أنه تأمل المصحف وجمله ، ويزيد في الأجر بسبب ذلك . وقد قيل : الختمة في المصحف بسبع ، وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف .

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف ، فقال : شغلكم الفقه عن القرآن ، إني لأصلي العتمة ، وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح .وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يقرأ في كل يوم سبعا من القرآن لا يتركه نظرا .

وروى ابن أبي داود بسنده عن عائشة مرفوعا : النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر في وجه الوالدين عبادة ، والنظر في المصحف عبادة .وعن الأوزاعي : كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيهة . قال بعضهم : وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجورا .

القول الثاني : أن القراءة على ظهر القلب أفضل ، واختاره أبو محمد بن عبد السلام ، فقال في " أماليه " قيل القراءة في المصحف أفضل لأنه يجمع فعل الجارحتين ، وهما اللسان والعين ، والأجر على قدر المشقة ، وهذا باطل ; لأن المقصود من القراءة التدبر، لقوله تعالى : ليدبروا آياته والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود ، فكان مرجوحا .

8- تلاوة القرآن سبب في حضور الملائكة لتستمع للقارئ :

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حُضير بينما هو ليلة يقرأ في مربد [21] إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضًا. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يَحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسى فقال رسول الله ﷺ:"اقرأ ابن حضير" قال فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول الله ﷺ: " أقرأ ابن حضير قال: فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول الله ﷺ " أقرأ ابن حُضير" قال: فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه فر أيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: "تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستترمنهم".

ورواه الحاكم باختصاروقال: صحيح على شرط مسلم، إلا أنه قال فيه: "فالتفت فإذا أمثال المصابيح مدلاة بين السماء والأرض، فقال: يا رسول الله ما استطعت أن أمضى فقال: تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لر أيت العجائب ".صحيح الترغيب والترهيب: 1431) .

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى من حديث عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن العبد إذا قام يصلي أتاه المَلَك فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو، فلايزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف المَلَك ". (الصحيحة:1213).

* * * * * * * * *

9- تلاوة القرآن يغتاظ ويبكي منها الشيطان:

فعندما يقرأ أهلُ القرآنِ القرآنَ ويمرون على آية فيها سجدة فيسجدون فيعتزل الشيطان يبكي ويتذكر خطيئته.

- ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد أعتزل الشيطان يبكى يقول: ياويله ".- وفي رواية: " يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار".

القول الثالث : واختاره النووي في " الأذكار" إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكروجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضل ، قال : وهو مراد السلف . (البرهان في علوم القرآن (94/2) – إسلام ويب) .

21/ المِرْبَدُ بكسر الميم وإسكان الراء وبالباء الموحدة هو المكان الذي تحبس فيه الإبل والغنم وهو الموضع الذي يجعل فيه التمر ليجف أيضًا.

تلاوة القرآن هي التجارة الرابحة والأجر الكبير:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} (فاطر:29-30) .

ذكر ابن كثير-رحمه الله عن قتادة-رحمه الله-أنه إذا قرأ هذه الآية قال: هذه آية القراء .

فأهل القرآن يوفيهم الله- تعالى- أجورهم فيعطيهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، بل يزيدهم الله تعالى من فضله فيعطيهم الشفاعة في الآخرة ففي قوله ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾

وفي "صحيح البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(من قرأ الآيتين من أخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) .

وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(من قرأ بمائة آية في ليلة، كتب له قنوت ليلة) (الصحيحة: 644) (صحيح الجامع: 6468) .

وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة) (صحيح الجامع: 6472) .

-وأخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق ". (صحيح الجامع: 6471) .

-وأخرج الحاكم والبيهقي في "شعب الإيمان "من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ".

(صحيح الجامع: 6470) .

-وأخرج النسائي في الكبرى و ابن حبان من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)

(الصحيحة:972) (صحيح الجامع: 6464) .

* * *   * * *   * * *

10- المواظبة على التلاوة اليومية تبرئ القارئ من صفة الغفلة ولا يكتب من الغافلين :

فقد أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين) (صحيح الترغيب والترهيب: 1436) .

وأخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين) (صحيح الترغيب والترهيب:1437) (الصحيحة:657) . القانتين: أي المطيعين الخاضعين لله- تعالى .

11- القرآن سبب للنجاة من فتنة المسيح الدجال:

فمن المعلوم أن فتنة الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشرية. منذ أن خُلِق أدم إلى قيام الساعة، وذلك لما أعطاه الله من خوارق العادات، والتي هي بمثابة الفتنة والاختبار للعباد.

فقد أخرج البخاري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن- ثم ذكرفيها- وأعوذ بك من فتنة الدنيا- يعنى فتنة الدجال).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقًا على هذا الحديث [22]: وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنة الدجال أعظم الفتن الواقعة في الدنيا.

ولعظم الفتنة وخطرها كان كل نبي يحذرقومه من فتنته؛ لأنهم أعلم الناس بخطره ،ففي أخرج ابن ماجه و ابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذَرَأَ اللهُ ذرية آدمَ أعظم فتنةً من الدجال، وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذَّرأمتَه من الدجال، وأنا آخرُ الأنبياء، وأنتم آخرُ الأمم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة ". صحيح الجامع(7875) .

وقد أمرالنبي ﷺ من أدركه أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف. ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن النواسِ بن سمعانَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أدركه منكم؛ فليقرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهف) زاد أبوداود: (فإنها جوارُكم من فتنته) .

وفي رواية أخرى عند ابن ماجه والترمذي بسند صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:" وإنَّ مِنْ فتنتِهِ أنَّ معه جنةً ونارًا، فنارُه جنةٌ، وجنتُه نارٌ، فَمَنْ ابتُلِيَ بنارِهِ فليستغثْ بالله، وليقرأْ فواتحَ الكهف ".(صحيح الجامع: 7875) .

وجاءت بعض الروايات وبينت أن المقصود بفواتح سورة الكهف هي الآيات العشر الأوَلُ ففي "صحيح مسلم" عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشرآيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدجال). أي حفظه الله تعالى من فتنته فلا يكفر بالله تعالى .

22/ فتح الباري - (179/11) .

12- القرآن يمنع من عذاب القبر:

فقد أخرج ابن مردويه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر). (الصحيحة: 1140) (صحيح الجامع:3643) .

* * *   * * *   * * *

المحور الثاني

فضائل أهل القرآن في ضوء السنة النبوية

اعلم أخي الحبيب أنه لما كان للقرآن العظيم كل هذه الفضائل التي سبق ذكرها فإن لأهله أيضاً فضل وأهل القرآن هم الملازمون لتلاوته الحريصون على التخلق بأخلاقه المتأدبون بآدابه ، وليس ذلك خاص بحفظة القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم : (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)[23]. فعبر ب (صاحب) ولم يقل حافظ ليدخل فيه كل محب للقرآن كما ذكرت .

وإليك الآن بعض ما لأصحاب القرآن من المنزلة عند الله تعالى من كلام سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم [24] .

1- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

فمن إكرام الله تعالى لأهل القرآن أن جعلهم من أهله وخاصته، ويا لها من معية لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(إن لله تعالى أهلين من الناس؛ قالوا من هم يا رسول الله؛ قال: أهل القرآن؛ هم أهل الله وخاصته) [(25)] .

2- أهل القرآن هم خير الناس و أفضلهم:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وفي رواية البخاري **(إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه).**

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث علىّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خياركم من تعلم القرآن وعلمه). (صحيح الجامع:3268) و(الصحيحة 1173) .

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله [26] : "لا شكَّ أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه وغيره؛ جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدِّي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عَنَى سبحانه

23/ رَوَاهُ التِّرْمَذِيّ، و أَبُو دَاوُد، و ابْن مَاجَه، و ابْن حِبَّانَ فِي صحيحه، وَقَالَ التِّرْمَذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

24/ الكتاب الجمع للفضائل (23) - فضائل القرآن وأهله – تأليف – الشيخ ندا أبو أحمد – بتصرف .

25/ الحديث ضعفه بعض أهل العلم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب- (1432) و(صحيح الجامع -(2165) وأهل الله وخاصته: أي أولياؤه المختصون به.

26/ فتح الباري-(694/8) .

وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. (فصلت:33) والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانعُ لغيره من الإسلام كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ (الأنعام:157). أهـ

* * * * * * * * *

3- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة:

أخرج الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يومَ القيامةِ كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن اخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة) .

قال معاوية بن سلام رحمه الله [27]: بلغني أن البطلة السحرة.

قوله صلى الله عليه وسلم : الزهروان : المنيريان ، الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها ، فرقان: أي : قطعتان . صواف : باسطات اجنحتها في الطيران

وأخرج ابن حبان والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: (القرآنُ شافع مشفع، وماحِل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره، ساقه إلى النار).

(السلسلة الصحيحة:2019)، (الجامع:4443) .

قوله صلى الله عليه وسلم : ماحل : بكسر الحاء المهملة أي ساع، وقيل: خصم مجادل .

وأخرج الإمام مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول :(يُؤتَى يومَ القيامةِ بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما) .

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-أن النبي ﷺ قال:(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة - بالنهار- فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: " فيشفعان). صحيح الترغيب والترهيب: (984) (صحيح الجامع:3882) .

27/ معاوية بن سلام: هو أحد رجال السند.

وأخرج الترمذي و ابن خزيمة والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(يجيءُ صاحبُ القرآنِ يومَ القيامةِ، فيقول القرآن: ياربِّ حله، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب ارضى عنه، فيرضى عنه، فيقال له اقرأْ، وارق، ويزدادُ بكلِ آيةٍ حسنةً)**.صحيح الترمذي(2915) وصحيح الجامع(8030) .

وأخرج الإمام أحمد و أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾). (صحيح الجامع:2091) .

* * *　　　* * *　　　* * *

4- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة في الصلاة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كانوا ثلاثةً فلْيؤُمُّهُمْ أحدُهم، وأحقُّهم بالإمامةِ أقْرَؤُهُم).

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"يؤمُ القومَ أقرؤُهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا، ولا يَؤُمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تَكرِمته[28] إلا بإذنه)وفي رواية لمسلم **(فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنا)** .

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة:279/1":

" إن النبي ﷺ قدم بالفضائل العلمية في أعلى الولايات الدينية وأشرفها، وقدم بالعلم بالأفضل على غيره فقدم في الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به، ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة، وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به، لكن إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل، وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وأن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية ". أهـ.

* * *　　　* * *　　　* * *

25/ التكرمة قال العلماء: "التكرمة": الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به، وهي بفتح التاء وكسر الراء.

5- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمارة والولاية:

فكما أن أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة في الصلاة، فهم كذلك أحق الناس بالإمارة والولاية فالله تعالى يرفعهم بهذا القرآن في الدنيا والآخرة **فق أخرج الإمام مسلم من حديث نافع بن عبد الحارث:** أنه لقى عمر ﷺ بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا، قال: فاستخلفتَ عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: **(إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين) .**

6- أهل القرآن لا يردون إلى أرذل العمر:

فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-أنه قال: (من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين: 5-6) قال: الذين قرؤوا القرآن). (صحيح الترغيب والترهيب: 1435).

7- أهل القرآن يكرمون ويجلون بين سائر المسلمين :

فقد أخرج أبو داود و ابن حبان والدارقطني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط). (صحيح الجامع:2199) .

-وأخرج الإمام مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الدينُ النصيحةُ"، قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم) .

قال النووي-رحمه الله- في آداب حملة القرآن:

وقوله **"لله ولكتابه"** ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به ومساعدته على طلبه بما أمكن وتألف قلب الطالب، وان يكون سمحًا بتعليمه في رفق متلطفًا به محرضًا له على التعلم، وينبغي له أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سببًا في نشاطه وزيادة في رغبته. أهـ

ومن صور إكرام أهل القرآن :

أن عمر رضي الله عنه كان يقربهم منه ويرجع إليهم في الأمور الخاصة بالمسلمين. فقد أخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: (وكان القراءُ أصحابَ مجالسِ عمرَ ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا).

ومن صور إكرام أهل القرآن :

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي. فنظر إليها رسول الله ﷺ فَصَعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله؛ إن لم يكن لك بها حاجة فَزَوِّجْنِيهَا، فقال له: هل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، قال اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا. قال: (انظر ولو خاتمًا من حديد)، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري، قال سهل: ماله رداء فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: (ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء) فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا؛ فأمر به فدعى، فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا عدها. قال : أَتَقرَأُهُنَّ عن ظهر قلبك؟ قال نعم . قال: (اذهب، فقد مَلَّكْتُكَهَا بما معك من القرآن).

ومن صور إكرام أهل القرآن :

أنهم يقدمون على غيرهم في اللحد عند الدفن ؛ فالله تعالى أعلى من شأن أهل القرآن وجعلهم أولى الناس بالإمامة في الصلاة، وأولى الناس بالإمارة والولاية، وكذلك هم أولى الناس بأن يقدموا عند الدفن على غيرهم إن قدر أن يدفن أكثر من شخص في قبر واحد.

-فقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد: - يعني في القبر- في ثوب واحد، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟)فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد؛ وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم .وقد بوب البخاري-رحمه الله- للحديث بقوله: "باب من يقدم في اللحد" .

وقال ابن حجر رحمه الله : "قوله" باب من يقدم في اللحد"، أي: إذا كانوا أكثر من واحد، وقد دل حديث الباب على تقديم من كان أكثر قرآنًا من صاحبه، وهذا نظير تقديمه في الإمامة، وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن؛ ويلحق به أهلُ الفقه والزهد وسائر وجوه الفضل". أهـ [29].

26/ فتح الباري - (252/3) .

ومن صور إكرام أهل القرآن:

أن آباءهم يُحلَّون يوم القيامة بحُلَّلٍ لا تقوم لها الدنيا ، فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبِسَ والداه يومَ القيامة تاجًا من نور، ضوؤُه مثلُ ضوء الشمس، ويُكسَى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن) صحيح الترغيب والترهيب 1434) و(الصحيحة 2829) .

* * *   * * *   * * *

8- أهل القرآن العاملون به ينفعون أنفسهم وينتفع بهم غيرهم:

وقد شبه النبيُّ ﷺ أهل القرآن بالثمرة الطيبة لها رائحة زكية وطعم حلو، وهذا دليل على انتفاعهم بالقرآن وانتفاع غيرهم بهم.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (مثلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأتْرُجَّةِ[30]؛ ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حُلوٌ. ومثلُ المنافق- وفي رواية: الفاجر- الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُرٌ. ومثلُ المنافق- وفي رواية: الفاجر- الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة [31]؛ ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ).

9- صاحب القرآن يكتب من المقنطرين:

فقد أخرج أبوداود و ابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[32]. (الصحيحة:642) و(صحيح الجامع 6439) .

10- أهل القرآن الذين يعلمون الناس القرآن؛ أجرهم ممدود غير مقطوع:

فقد أخرج أبو سهل القطان في حديثه عن شيوخه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من عَلَّمَ آيةً من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت) (الصحيحة:1335) .

30- الأترجة: بضم الهمزة والرَّاء: ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة، وحسن اللون

31- الحنظلة: واحد الحنظل، وهو نبات معروف شديد المرارة (تاج العروس: مادة "حنظل")

32- المقنطرين: أي أعطى قنطارا من الأجر (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 113/4).

وأخرج الحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه، فتقول رجلاه ليس لكم على ما قِبَلِي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره-أو قال: بطنه- فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثرَ وأطيبَ).

وأخرج البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ كان إذا صلى صلاة- وفي لفظ: صلاة الغداة-أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد "رؤيا" قصها، فيقول ما شاء الله، فسألنَا يومًا فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكن رأيت الليلة رجلين أتياني - فذكر الحديث وفيه - فانطلقت حتى أتينا على رجل مضجع، وإذا أخر قائم عليه بصخرة، وإذا هوى يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغُ رأسَه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل حتى يصبحَ رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي انطلق -فذكر الحديث وفيه -أما الرجل الذي أتيت عليه يُثْلَغُ رأسه بالحجر فهو رجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام على الصلاة المكتوبة".

ومفهوم المخالفة للحديث أن من يأخذ القرآن ويعمل به فهو بعيد كل البعد عن هذا العذاب.

نسأل الله تعالى أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن ينورها لنا ويفسح لنا فيها مد البصر، وأن يلهمنا حجتنا عند السؤال.

* * * * * * * * *

11- أهل القرآن يستقبلهم القرآن عند خروجهم من القبر، ويطمئنهم ويبشرهم بالخير الكثير والأجر العظيم:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال:" كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: تعلموا سورةَ البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران؛ فإنها الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك، القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت

ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته و إنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذه، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: إقرا واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هزًّا كان أو ترتيلًا ".

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ كالرجلِ الشاحبِ يقول لصاحبه: هل تعرفني ؟ أنا الذي كنتُ أُسْهِرُ ليلَك وأُظْمِئُ هواجرَك وإنَّ كلَ تاجرٍ من وراءِ تجارتِه، و أنا لك اليوم من وراء كلِ تاجر، فَيُعْطَى الملكُ بيمينِه، والخلدُ بشمالِه، ويوضعُ على رأسِهِ تاجُ الوقارِ، ويُكْسَى والداه حلتان لا تقوم لهما الدنيا وما فيهما، فيقولان: يارب أنى لنا هذا؟! فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن، وإنَّ صاحب القرآنِ يُقال له يوم القيامة: أقرأْ وأرقَ في الدرجاتِ، ورتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخرِ آيةٍ معَك ". (الصحيحة: 2829) .

وأخرج ابن ماجه عن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" يجيءُ القرآنُ يومَ القيامة كالرجل الشاحب [33]، فيقول: أنا الذي أسهرتُ ليلكَ وأظمأتُ نهارَك ".

وقد ذكر السندي-رحمه الله-:" إن القرآنَ كأنَّهُ يجئ على هذه الهيئةِ؛ ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا؛ لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن، لأجله في السعي يوم القيامة حتى ينال صاحبه الغايةَ القصوى في الآخرة " [34].

* * * * * * * * *

12- أهل القرآن ينجيهم الله من عذاب يوم القيامة، ولهم الأمن في الدنيا والآخرة:

فالعبدُ يسعى بكل ما يستطيع لكى ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله تعالى لمن حفظ القرآن ابتغاء وجهه ألا تحرقه النار.

فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن عصمة بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لو جمع القرآن في إهاب [35] ما أحرقه الله بالنار". (صحيح الجامع: 5266) (الصحيحة:3562).

وفي رواية عند الطبراني:" لو كان القرآن في إهاب ما آكلته النار". (صحيح الجامع: 5282) .

33/ الشاحب: متغير اللون، والجسم العارض: من سفر أو مرض أو نحوهما (النهاية في غريب الحديث 2/)448.

34/ شرح السندي على سنن ابن ماجه: 238/4).

35/ الإهاب: الجلد.

وأخرج الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر".

13- أهل القرآن مآلهم جنة الرحمن:

فقد أخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "سورة من القرآن ماهي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي تبارك ". (صحيح الجامع:3644) .

- أهل القرآن يرتقون إلى أعلى درجات الجنان بقدرما يحفظون من القرآن:

فقد أخرج الإمام أحمد و أبوداود و ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يُقالُ لصاحبِ القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ، واصعد [36]: فيقرأ، ويصعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه [37]). (صحيح الجامع:8121) .

وفي رواية:(يُقالُ لصاحبِ القرآن: اقرآ وارق ورتل[38] كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها). (الصحيحة:2240) (صحيح الجامع:8122) .

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث له : (وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وارق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية معك). (الصحيحة: 2829) .

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب أرض عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويزاد بكل آية حسنة ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1425) (صحيح الجامع 8030) .

قال أبو سليمان الخطابي-رحمه الله-في "معالم السنن": جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ماكنت تقرأ في آي القرآن ". فمن استوفى

36/ اقرأ واصعد: وفي رواية" اقرأ وأرق": أمر من الرقي وهو الصعود كما جاء مفسرًا في الرواية الأخرى والصعود يكون في درج الجنة بقدرما يحفظ الإنسان من آي القرآن.

37/ قال ابن حجر الهيثمي كما في "الفتاوى الحديثة"(156): الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف، لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، و إنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب فلهذا تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم.

35/ ورتل: الترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل.

جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدرذلك؛ فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

14- أهل القرآن في أعلى الجنان مع السفرة الكرام:

فحينَ يفتخرُ أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء، فإن حافظَ القرآنِ يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله تعالى ، وشرفهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة، كما قال رب العالمين في كتابه **الكريم: {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}** (عبس: 13-15) .

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها-قالت: قال رسول الله ﷺ:" الماهر[39] بالقرآن مع السفرة[40] الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهوعليه شاق له أجران".

وعند البخاري بلفظ: " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وهو عليه شديد له أجران"

والماهر بالقرآن أجره أفضل، وأما الذي يتعتع فيه، فهو الذي يتردد فيه لضعف حفظه، فله أجران: أجر القراءة وأجر بتعتعته في قراءته ومشقته .

وقال القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه. والله أعلم. أهـ

وبعد هذا الشرف والتكريم الذي ناله أهل القرآن يتضح لنا قول الحبيب المصطفي ﷺ **الثابت في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمرَرضي الله عنهما-أنه ﷺ قال:" لا حسد[41] إلا على اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناءَ الليل و آناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا، فهو ينفقه آناء الليل و آناء النهار".**

39/ ماهربه: أي مجيد لحفظه، فهو لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه (أنظرشرح النووي على مسلم:6/)332

40/ مع السفرة: أي الملائكة الرسل إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام. والمعنى أنه يكون معهم في منازلهم في الآخرة. ويقول القاضي عياض-رحمه الله-: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاللملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله، ويحتمل أن يراد: أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم". (شرح النووي:332/6)

40/ لا حسد: والحسد هو: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام، وأما الحسد المذكورفي هذا الحديث: هو الغبطة، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غيرأن يزول عنه (شرح النووي:96/6، وفتح الباري لابن حجر:200/1).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل و آناء النهار، فسمعه جار له فقال: ياليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتِيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يعمل، ورجل آتاه اللهُ مالًا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ياليتني أوُتِيتُ مثل ما أوتي فلان فعملتُ مثل ما يعمل".

فهيا لنكون من أهل القرآن، وهذه هي التجارة مع الله المضمونة الرابحة، والتي يعطى الله عليها من فضله الكريم وعطائه الذي لا ينفد .

* * *　　　* * *　　　* * *

المطلب الثالث

طائفة من أقوال السلف والعلماء في فضل القرآن وأهله واجتهادهم في الإكثار من تلاوته

المحور الأول : طائفة من أقوال السلف والعلماء في فضل القرآن وأهله .

المحور الثاني : اجتهاد السلف والعلماء في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم .

المحور الأول

طائفة من أقوال السلف والعلماء في فضائل القرآن وأهله

إن الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالحين والعلماء العاملين أكثر من أن يحصيها مجلَّد كبير، ولذا أحببت أن أذكِّرَ في هذا المطلب بنزريسير منها لتعرف الأجيال المعاصرة كم كان القرآن معظَّما عبر قرون طويلة ، بل كان شغلهم الشاغل فلا يخلو منه ليلهم ولا نهارهم [42].

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون ".

وقال أيضا رضي الله عنه : (من أحبَّ أن يحبَّهُ اللهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم فلينظر: فإن كان يحبُّ القرآنَ، فهو يحبُّ اللهَ ورسولَه) [43].

- وقال أيضًا: لا تهذوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل (التمر الرديء)، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

- وقال أيضًا : من أراد العلم، فليقرأُ القرآنَ، فإنَّ فيه علمَ الأولينَ والأخرين [44].

وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:" ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن و اتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:123-124) .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم .

* * *   * * *   * * *

42/ أكثر هذه الآثار منقولة من سير أعلام النبلاء – للذهبي ، وتفسير ابن رجب الحنبلي والخشوع في الصلاة ولطائف المعارف وهذه الثلاث لابن رجب ، وإحياء علوم الدين – للغزالي ،والبداية والنهاية – لابن كثير .

43/ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

44/ مصنف بن أبي شيبة والمعجم الكبير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي.

ويروى عن معاذ رضي الله عنه قال : سيبلى القرآن في صدور أقوام، كما يبلى الثوب . فيتهافت، فيقرؤونه لا يجدون له شهوة.

وقال الحسن بن عليّ -رضى الله عنهما-:" إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار"[45].

وسئلت أسماء بنت أبي بكر-رضى الله عنها-: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت:" كانت تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله ﷻ فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ". (الزمر:23) .

قلت : يعني أنهم لا يجدون له لذة بل هي تلاوة جافة لا خشوع فيها ولا حلاوة لها بل ليس فيها شوق إلى جنة أو خوف من نار .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : يوشك أن يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب . ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة.

وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه : تقرب إلى الله ما استطعت وأعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه .

* * *   * * *   * * *

4- وقال أبو هريرة رضي الله عنه :" إن البيتَ ليتسعُ على أهله، وتحضره الملائكةُ، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يُقرأَ فيه القرآنُ، وأن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن ".

وعن أبي العالية رحمه الله قال: سيأتي على الناس زمان، تخرب فيه صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم، وتهافت فلا يجدون له حلاوة، ولا لذاذة .

45/ التبيان في آداب حملة القرآن - للنووي- ص(28) .

وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى : من استولت عليه النفس، صار أسيرا في حكم الشهوات، محصورا في سجن الهوى . فحرَّمَ اللهُ على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلامه، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : تفقدوا الحلاوة في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر. فإن وجدتموها فامضوا و أبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق .

وكان رحمه الله تعالى يقول : إنّ المؤمنين - من الصحابة - لما جاءتهم هذه الدّعوة من الله - يعني القرآن - صدّقوا بها، وأفضى يقينها إلى قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم، فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله، ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم، ولكن جاءهم عن الله أمر فصدّقوا به فنعتهَم الله تعالى في القرآن أحسنَ نعت فقال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ قال: حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون، ثم ذكَرَ ليلَهم خيرَ ليلٍ فقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربّهم .

وقال وهيب بن الورد-رحمه الله-:" قيل لرجل ألا تنام؟! قال:" إن عجائب القرآن أطرن نومي ".

وقال أحمد بن الحواري-رحمه الله-:" إني لأقرأُ القرآنَ وانظرُ في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حُفَّاظ القرآن كيف يهنيهم النومُ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيءٍ من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا ".

و أنشد ذو النون المصري:

منـع القـرآنُ بـوعدهِ ووعيدِه — مُقَلَ العيـونِ بليلها لا تَهْجَعُ

فهموا عن الملك الكريم كلامَه — فهمًا تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ

يقول الذّهبي: عن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنّه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليا يتلو: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ [الحديد (16)] فلمّا سمعها قال: بلى يا ربّ، قد آن، فرجع فآواه اللّيل إلى خَرِبَةٍ، فإذا فيها سابِلَةٌ – مسافرون - فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتّى نصبح فإنّ فضيلاً على الطّريق يقطع علينا. قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى باللّيل في

المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلاّ لأرتدع، اللّهمّ إنّي قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام ".

وقال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى : إن هذا القرآن قد خَلِق - أي صار قديماً - في صدور كثير من الناس . والتمسوا حديثا غيره، وهو ربيع قلوب المؤمنين، وهو غض جديد في قلوبهم .

قلت : كأنه رحمه الله ألمح إلى أولئك الذين يرون أن القرآن كلاما عاديا - وهم المنافقون – لن يجدوا له حلاوة ولا لمعانيه تجدُّدا في نفوسهم ، ولهذا قال (وهو ربيع قلوب المؤمنين) فعبَّر بالمؤمنين .

وقال عمر بن ميمون بن مهران : خرجت بأبي أقوده إلى منزل الحسن البصري فطرقت الباب فخرجت إلينا جارية ، فقالت: مَن هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم !فخرج إليه الحسن فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد ! إني قد أنست من قلبي غلظة فاستكن لي منه، فقرأ الحسن: (**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**)[الشعراء: 207-205].

فسقط الشيخ مغشياً عليه - يعني ميمونا -، فرأيته يفحص برجليه كما تفحص الشاة إذا ذُبحت، قال عمر : فوكز في صدري وكزة ثم قال: يا بني لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوماً.

* * *   * * *   * * *

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:" كفي بالله مُحِبًا، وبالقرآن مُؤنِسًا، وبالموت واعظًا، اتَّخذ اللهَ صاحبًا، ودع الناس جانبًا ".

وقال أيضًا:" من لم يستأنسْ بالقرآن فلا آنسَ اللهُ وحشتَه ".

وقال أيضًا:" حاملُ القرآنِ حاملُ رايةِ الإسلامِ، لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحق القرآن ".

وقيل لذي النون -رحمه الله-:" ما الأنس بالله؟! قال: العلم والقرآن ".

وقال الحسن -رحمه الله-:" إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار".

وقال كعب الأحبار-رحمه الله-:" عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهدًا بالرحمن ".

وقال محمد بن واسع -رحمه الله-: القرآنُ بستان العارفين، فأينما حلّو منه، حلُّوا في رياض نضرة.

وقال أحدُ الصالحين لتلميذه : أتحفظ القرآن؟ قال: لا، فقال: واغوثاه، يا الله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتنعم، فبم يترنم؟ فبم يناجي مولاه؟ ".

وقال عبد الله بن عميررحمه الله : كان يُقال أنقى الناس عقولًا قُرَّاء القرآنِ.

وقال قتادة -رحمه الله-:" لم يجالس هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام بزيادة أو نقصان، قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ".

قال وهيب بن الورد -رحمه الله-: " نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

وقيل لبعضهم:" إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلى من القرآن حتى أحدثَ به نفسي؟!".

وقال أحمد بن أبي الحوارى-رحمه الله-:" سمعت ابن عيينة رحمه الله يقول:" لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله تعالى، فمن أحب القرآن فقد أحب الله تعالى ".

وقال محمد بن واسع رحمه الله تعالى : القرآن بستان العارفين حيثما حلوا منه، حلوا في نزهة!.

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟! فإن القرآن ربيع المؤمنين، كما أن الغيث ربيع الأرض، فقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحش فتكون فيه الحبة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن ، فيا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة ؟ أين أصحاب سورتين؟! ماذا عملتم فيهما.

قلت : لم يقل أين حفظة القرآن كاملاً أو أين أصحاب القراءات بل قال أين أصحاب سورة ؟ وهذا يعني أن كل من جوفه شيء من القرآن ولو كانت سورا قليلة العدد أو قصيرة في عدد آياتها بل العبرة بوجود أثر ذلك المحفوظ في قلب الحافظ وسلوكه وأخلاقه .

* * *   * * *   * * *

وقال الإمام الآجري رحمه الله: أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ : أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اِعْتَصَمَ بِهِ ، وَحِرْزٌ مِنْ النَّارِ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، وَنُورٌ لِمَنْ اِسْتَنَارَ بِهِ ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِين.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ : فَيُحِلُّوا حَلالَه ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَيَقُولُوا ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران (7) .

ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ : النَّجَاةَ مِنْ النَّارِ، وَالدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ .

ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهُ عَزَّوَجَلَّ إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ : أَحْسَنُوا اِسْتِمَاعَهُ . ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ ، فَلَهُ الْحَمْدُ .

ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهُ : أَنْ مَنْ تَلا الْقُرْآنَ ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمَ ، فَأَنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لا بَعْدَهُ رِبْحٌ ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ..

وقَالَ عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر (29-30) .

فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حَسُن من فعله وما قبُح فيه، فما حذَّره مولاه حذِره، وما خوَّفه من عقابه خافه، وما رغَّب فيه مولاه رغِب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ورعاه حق رعايته [46].

* * *   * * *   * * *

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما، وعلى غاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنياته، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وبالجملة تعرف الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وماله

46/ أخلاق حملة القرآن للآجري - ص (39).

من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب[47].

يقول ابن القيم رحمه الله :

" من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والحِلم والتجاوز، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته.

وأعظمُ هؤلاءِ معرفةً مَن عرفه من كلامه؛ فإنه يعرف ربًا قد اجتمعت له صفاتُ الكمالِ ونعوتُ الجلال، مُنَزهٌ عن المثال برئ من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعَّالٌ لما يريد فوق كل شيء ومع كل شيء وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء، آمرٌ ناهٍ، متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء وأجمل من كل شيء أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين، فالقرآن أُنزِل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه " [48]. اهـ.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : سماع القرآن ينبت الإيمان في القلب، كما ينبت الماء البقل . وسماع الغناء ينبت النفاق، كما ينبت الماء البقل . ولا يستويان حتى يستوي الحق والبطلان .

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأرَضين السُلفى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى[49] .

*** **** ***

47/ مدارج السالكين - (1/451-452).

48/ الفوائد ص –(196) .

49/ جواهر القرآن ودرره – للغزالي .

المحور الثاني

اجتهاد السلف والعلماء في الإكثار من تلاوته القرآن الكريم

ما قدمناه في المحور السابق هو تعبير السلف والصالحين عن معرفتهم بعظمة القرآن ونصحهم للأمة، لتوليه العناية اللائقة به من الاهتمام والرعاية ؛ وما سنذكره هنا كثرة تلاوتهم للقرآن والامتثال لما في من آداب وأخلاق . وسنرى الفرق الشاسع والبون البعيد بين حالهم مع القرآن وحالنا في هذا العصر.

أما حالهم فستقرأ في السطور التالية حبهم الكبير للقرآن وإدمانهم لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار مع كثرة الحفظة فيهم .

وأما حالنا فهو بالعكس تماما - إلا من رحم ربك – فهو ضعف الحب للقرآن وقلة التلاوة والإهمال للعمل ، وذلك بالنظر إلى عموم الأمة الإسلامية .

فقد انشغل الكثيرون عن القرآن بأمورلن تنفعهم لا في دنياهم ولا في آخرتهم كمتابعة الكورة والأفلام والمسلسلات والمقاطع المضحكة أو المثيرة للدهشة والاستغراب على قنوات اليوتيوب أو الشاشات الفضائية ، إضافة إلى وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها فأصبحت هذه هي الفتنة بعينها الصارفة عن تلاوة القرآن وتدبره .

فوجد الكثيرون السعادة في تلك الشاشات - الجوالات - التي يصحبونها خلال الأربع والعشرين ساعة ، فأصبحت كأنها مصدر سعادتهم وراحة قلوبهم وحل مشكلاتهم بينما نسوا أن الله سائلهم عن أعمارهم .

ونسي البعض النصوص المحذرة من هجر القرآن فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال:(القرآن حجة لك أو عليك) .

وجاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني من حديث جابر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال:" القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار". (صحيح الجامع:4443) .

ففي هذا الحديث أنذر ووعيد لمن هجر القرآن المجيد وجعله وراءه ظهريًا، وهذا الصنف يشتكيه النبي الأمين ﷺ لرب العالمين، كما جاء في القرآن الكريم: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا

هٰذَا القرآن مَهْجُورًا وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفي بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} (الفرقان:30-31) [50].

* ** * * * * * **

والآن إليك بعض الآثار المروية عن اهتمام السلف والصالحين من بعدهم بالقرآن الكريم وفرحهم وسعادتهم بالإكثار من تلاوته [51] :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف قدوم الأشعريين وهم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من أهل اليمن بقوله: **(إني لأعلم قدوم الأشعريين - أي إلى المدينة - ومنازلهم بها ولمّا أرهم، كانوا يُدوون بالقرآن كدوي النحل في الليل).**

وعن أبي كنانة أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه جمع أهل القرآن في ولايته - فكانوا قرابة الثلاثمائة - فخطبهم وعظّم من شأن القرآن، ثم قال : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ زُخْرًا وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلاَ يَتَّبِعْكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنَ زَجَّ فِي قَفَاهُ فَقْذِفَ فِي النَّارِ) [52].

وهذا تميم الداري رضي الله عنه : قال مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلَّى ليلةً حتى أصبح أو كاد، يقرأ آية يردّدها ويبكي **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [الجاثية: 21].

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه : يقول عنه سليمان بن يسار-رحمه الله-: قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها ".

50/ قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" الفوائد صـ94": هجر القرآن أنواع:

أحدهما : هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

والثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وأحسن به.

والثالث : هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره، وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا القرآن مَهْجُورًا﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. اهـ

51/ هذه الآثار أكثرها منقول من سير أعلام النبلاء – للذهبي ، ولطائف المعارف – لابن رجب ، وحلية الأولياء – لأبي نعيم وترطيب الأفواه - للشيخ العفاني .

52/ أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الاولياء - (257/1).

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه : يقول عنه ابن سيرين رحمه الله : كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة .

وهذا عروة بن الزبير-رضي الله عنهما-: قال عنه ابن شوذب - رحمه الله-: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الأكلة، فنشرت ".

وهذا الحسن بن صالح بن حيّ الثوري-رحمه الله-:يقول عنه وكيع: كان الحسن وعلي ابني صالح، وأمهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في كل ليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه، فماتت أمهما، فكانا يختمانه، ثم مات عليّ فكان الحسن بن صالح يختم كل ليلة ".

وهذا يحيى بن سعيد القطان -رحمه الله-مير المؤمنين في الحديث: قال عنه يحيى بن معين:" أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة .

وهذا عبد الرحمن بن مهدى -رحمه الله-: يقول عنه على بن المديني: كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن .

وكان قتادة رحمه الله : قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وهذا هو الإمام الحجَّة مسعر بن كدام رحمه الله، يحكي ابنه محمد بن مسعر، قال: **كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن .**

* ** * * * * * **

وهذا أبو بكر بن عياش-رحمه الله-: يقول عنه الذهبي رحمه الله : وقد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحوًا من أربعين سنةً يختمُ القرآنَ في كلِ يوم وليلة مرة ".

وقال يحيى اليماني– رحمه الله– لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاةُ بكت أختُه، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانيةَ عشرَ ألفِ ختمةً ".

وقال الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيّم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله : نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري .

وهذا ثابت البناني قال عنه شعبة رحمهما الله تعالى كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر .

وهذا أبو بكر الكتاني رحمه الله - يقول عنه الذهبي رحمه الله تعالى- : يقال: ختم الكتاني في الطواف اثني عشرة ألف ختمة! وكان من الأولياء.

وهذا الحافظ ابن عساكر رحمه الله يقول ابنه القاسم : كان أبي مواظبًا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كلَّ يوم ، وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على لحظةٍ تذهب في غير طاعة.

وهذا إمام العارفين الجنيد رحمه الله يقول عنه أبو بكر العطوي : كنت عند الجنيد حين مات؛ فختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة، فقرأ سبعين آية ثم مات! رحمه الله تعالى.

وقال محمد بن كعب-رحمه الله-:" كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه". يشير إلى سهره وطول تهجده .

وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في سبع، فإذا جاء رمضان ختم في كلِّ ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كلِّ ليلة .

ولَمَّا حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش رحمه الله بكت أخته، فقال لها: ما يُبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة .

وقال أسد بن الفرات-رحمه الله-: كان ابنُ القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل به حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم ".

كان شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقى الدين البلاطنسي يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكبَّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبةُ لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

وكان الشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سرًا وجهرًا، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن.

* **   * * * *   * **

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله : قال عنه الربيع بن سليمان:" كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة يقرؤها في غير الصلاة .

وهذا الإمام أبي حنيفة رحمه الله يقول عنه شمس الأئمة الكردري في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة): **كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهارومرة في الليل .**

وكان الحافظ ابن عساكر-رحمه الله-:" يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة ".

وكان الإمام البخاري-رحمه الله-: يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: قال عنه جعفر بن أبي هاشم:" سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون.

و هذا بشر الحافي رحمه الله قال عنه الإمام عليُّ بنُ المديني شيخ البخاري:" حفر بشر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن .

وكان الأسود رحمه الله تعالى يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غيررمضان في كل ست ليال [53].

* **   * * * *   * **

وقال ابن الجزري في طيبة النشرفي القراءات العشر :

6 - لِذَاكَ كَانَ حَامِلُو الْقُرآنِ	أَشْرَافَ الأمَّةِ أُولِي الإحْسَانِ
7 - وَإِنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللهِ	وَإنَّ ربَّنا بِهِمْ يُبَاهِي
8 - وقَالَ فِي الْقُرآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى	بِأنَّهُ أوْرثَهُ مَنِ اصْطَفَى
9 - وَهْوَ فِي الأخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعُ	فِيْهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ يُسْمَعُ
10 - يُعْطَى بِهِ الْمُلْكَ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا	تَوَّجَهُ تَاجَ الْكَرَامَةِ كَذَا
11 - يَقْرَا وَيَرْقَى دَرَجَ الجِنانِ	وَ أَبَوَاهُ مِنْهُ يُكْسَيَانِ
12 - فَلْيَحرِصِ السَّعِيدُ فِي تَحْصِيْلِهِ	وَلا يَمَلَّ قَطُّ مِنْ تَرْتِيْلِهِ
13 - ولِيَجْتَهِدْ فيهِ وَفِي تَصحِيحِهِ	عَلَى الَّذِي نُقِلَ مِنْ صَحِيحِهِ

53/ قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- بعد ذكر هذه الآثار: و إنما ورد النهى عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهررمضان خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدرأوفي الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم. (لطائف المعارف - ص (246) .

المبحث الثاني

صور من بدائع الإعجاز البياني والعلمي في القرآن الكريم

مدخل

لمحة عن الإعجاز القرآني و أنواعه

لكي تشعر أخي الحبيب بجمال القرآن وعظمته وتتلذذ بتلاوته ويحضر قلبك وفكرك معه لا بد من الاطلاع على شيء من جمال بيانه وبديع عباراته وفصاحة جمله و آياته وهو ما عبر عنه العلماء بالإعجاز ، ومن هنا أحببت أن أذكر في هذا المبحث نزرا يسيرا من إعجازه ليزداد تعلق القلب به . وفي هذا المدخل فكرة سريعة عن الإعجاز فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول :

لما دعا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قريشا إلى الإسلام كذبوه وطالبوه بمعجزة تثبت صدق دعوته ورسالته، فأجابهم أن القرآن الكريم هو معجزته ، وتجلّى ذلك على عدة مستويات، حيث تدرج الله تعالى في تحدي الكفار بإعجاز القرآن بقوله: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ} الطور(34) ، ثم خفف هذا التحدي فقال سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} هود (13)، ثم زاد من التخفيف فقال: {يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } يونس (38) ، وتصاعد التحدي الإلهي في قوله تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} الإسراء(88) ، بعدها أكد الله تعالى على إعجاز القرآن واستحالة الإتيان بمثله فقال: {و فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} البقرة (24) .

ثم إن للإعجاز القرآني تأثيره الذي يبعثه في النفوس، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتى يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة، لا تجدهما في غيره من الكلام، يستوي في ذلك أصحاب القلوب القاسية وذوو الأفئدة الخاشعة، فلقد سحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى، فآمن منهم من شرح الله صدره للإسلام، وكفر منهم من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.

ولا أدل على هذا التأثير النفسي الذي يؤكد إعجاز القرآن من ذلك القول الذي كان يتواصى به المشركون، وحكاه عنهم القرآن: {لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26].

ورغم ذلك فقد كانوا ينشدون إلى بيت محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- ليستمعوا لهذا القرآن الذي أخذ بمجامع قلوبهم وسحر عقولهم، ولا غرابة وهو الكلام المنزل الذي يقول الله تعالى فيه: {لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: 21].

وقال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 23].

* **   * * * *   * **

والأمثلة على ذلك كثيرة وكثيرة جدا، وليس غريبا عنك قول الوليد بن المغيرة فيه: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، و إنه ليحطم ما تحته، و إنه ليعلوو وما يعلى. وقول عتبة بن ربيعة: إني سمعت قولا، والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة. فقال له القوم: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم، وما إسلام عمر رضي الله عنه وأمثاله عنك ببعيد.

وتختلف أنواع الإعجاز القرآني وتتنوع لتشمل عددا من المواضيع والمجالات، ومن ذلك نذكر الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي ، وكل واحد من هذه الأنواع يمكن للباحث أن يفرده بكتاب كبير ولكن المقصود في هذا المقام هو الإشارة إليها فقط ليطلع القارئ عليها .

فالإعجاز البياني هو قدرة القرآن الكريم على إيصال المعاني والرسائل المختلفة بوضوح وبلاغة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

والإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم بالحقائق والمعلومات الدقيقة المرتبطة بالظواهر الكونية المختلفة كأسرار الفضاء والبحار والجبال وغيرها والتي لم يكن ممكنا إدراكها في زمن نزول القرآن ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث.

والإعجاز التشريعي هو سمو ودقة التشريعات والنُّظُم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وتميزها عما دونها من التشريعات والأحكام الوضعية بطريقة يستحيل على البشر الإتيان بها.

أما الإعجاز الغيبي فيُقصد به إشارة القرآن الكريم لأمور غيبية لها علاقة بالماضي أو الحاضر أو المستقبل يستحيل على البشر التنبؤ بها[54].

والأصل في هذه الأنواع هو الإعجاز البياني - البلاغي - الذي يختص بفهمه أولئك الذين عرفوا اللغة العربية نطقا وفهما، وتذوقوا بيانها وأساليبها في التعبير فاختيار المفردات في القرآن الكريم من أسرار إعجازه، ومن عجائبه التي لا تنفد؛ لذلك تجد كلَّ كلمة في القرآن لا يصلح غيرها في مكانها، ولو أُدير لسان العرب على كلمة غيرها لتؤدي معناها في مكانها، لم يوجد؛ لأن معناها في هذا الموضع الذي وضعت فيه أمر يقتضيه السياق والحال.

وكما قال موباسان: "إن للكلمات أرواحًا، فإذا استطعتَ أن تجد الكلمة التي لا غنى عنها، ولا عوض منها، ثم وضعتَها في الموضع الذي أُعد لها، وهُندس عليها، ونفخت فيها الروح التي تعيد لها الحياة، وترسل عليها الضوء، ضمنت الدقة والقوة، والصدق والطبيعة والوضوح، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف"[55] .

وإذا كان العربي القديم قد عرَف للكلمة منزلَتَها، وقدَّرها حقَّ قدرها، حتى إنه لينتفض حين يسمع من الكلمات ما يأباه الذوق ويخالف الطبع.

فها هو النابغة الذبياني ينكر على حسان بن ثابت – رضي الله عنه - عدمَ مراعاته لاختيار الألفاظ التي تلائم السياق، وتوافق المقام، حين أنشده مادحًا قومه:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فقال له النابغة منكرًا: يا ابن أخي، لقد أقللتَ جفانك وأسيافك، ما هكذا تقول، قلتَ: (لنا الجفنات)، ولو قلتَ: (الجفان)، لكان أكثر - لأن (الجفنات) جمع قلة، و(الجفان) جمع كثرة – وقلتَ: (يلمعن في الضحى)، ولو قلت: (يسطعن في الدجى) لكان أبلغ - لأن الضيف أكثر ما يكون ليلًا - وقلت: (يقطرن)، ولو قلت: (يجرين)، لكان أولى [56].

54/ كتاب الواضح في علوم القرآن - الفصل الأول إعجاز القرآن (تعريفه- دليله) – موقع نداء الإيمان ، ومقال : الإعجاز في القرآن، تعريفه، أنواعه والحكمة منه - موقع السبيل – بتصرف .

55/ من مقدمة كتاب "دفاع عن البلاغة"، للأستاذ أحمد حسن الزيات، ص15، ط/ نهضة مصر، 1967م. (نقلا عن مقال : من أسرار الكلمات في القرآن الكريم) .

56/ مقال : من أسرار الكلمات في القرآن الكريم - د. طارق السيد طبل – شبكة الأوكة .

فلذا نقول : " لغة القرآن أعجزت بلغاء العرب وفصحاءهم ... وها هي اليوم تتجلى من خلال الإعجاز البلاغي لتشهد على أن منزل القرآن هو الله، ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثل هذه اللغة الرائعة .

في عصرنا الحاضر اعتقد البعض أن عصر الإعجاز البلاغي قد انتهى، ولا يمكن أن تظهر معجزات بلاغية جديدة، لأن العصر الحديث هو عصر العلم والتكنولوجيا.. فلابد أن تكون معجزة القرآن علمية لتتحدى علماء العصر بما برعوا فيه من فلك وطب ونفس وهندسة...

ولكن الذي يتأمل كتاب الله تعالى يرى فيه بحراً زاخراً بالعجائب البلاغية التي تشهد على إعجازه وعدم قدرة البشر أن يأتوا بمثله " [57].

وقد اخترت في هذا المبحث بعض أنواع الإعجاز القرآني التي سبقت الإشارة إليها لأن الإحاطة بنوع واحد منها فضلا عن كلها سيخرج بنا عن موضوع الرسالة .

* **   * * * *   * **

57/ بقلم : عبد الدائم الكحيل – موقع موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة .

المطلب الأول

صور من بدائع الجمال البياني في سورتين من قصار السور

المحور الأول : صور من بدائع الجمال البياني في سورة الفاتحة .

المحور الثاني : صور من بدائع الجمال البياني في سورة الكوثر.

المحور الأول

صور من بدائع الجمال البياني في سورة الفاتحة

سورة الفاتحة من السور التي أفردها كثير من العلماء بالتفسير في مؤلف خاص، وقد وصل تفسير بعضهم لها إلى مجلد كبير ، وما ذلك إلا لأنها كما قيل تحوي معاني القرآن كله ، فلما كانت بتلك المنزلة العظيمة والمكانة العالية الرفيعة أحببت ان أذكر شيئا مما قاله العلماء في معانيها رجاء الانتفاع بها . ولي لا يطول الكلام فنخرج عن موضوعنا اخترت منها آيتين ، وهما قوله تعالى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وقوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

فمما قيل من بدائع الجمال البياني في قوله تعالى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [58]:

1/ {الرحمان} : فَعْلان من الرحمة، و{الرحيم} : فعيل منها. وصيغة (فعلان) تُفِيدُ الدلالةَ على الحدوث والتجدُّد، وذلك نحو: عطشان وجوعان وغضبان، ولا تفيد الدلالة على الثبوت، وتفيد أيضاً الامتلاء بالوصف. جاء في (التفسير القيم) : "ألا ترى أنهم يقولون غضبان، للممتلىء غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن مُلِئَ بذلك".

وصيغة (فعيل) تدل على الثبوت في الصفة، نحو: طويل وجميل وقبيح، أو التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو: خطيب وبليغ وكريم.

فجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة والمتجددة، هي الرحمة للاحتياط في الوصف، فإنه لو وصف نفسه بأنه (رحيم) فقط لوقع في النفس أن هذا وصفه الثابت، ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب، ولو قال: (رحمن) فقط لظُنَّ أن هذا وصفٌ غير ثابت.

2/ ووقوعهما - الرحمن الرحيم - بعد كلمة (الرب) أحسن موقع، فإن هذا الرب الذي لا رَبَّ غيره، والسيد الذي لا سيد سواه رحيمٌ بعباده، فتنبسط نفوسُ العباد، ويقوى أملهم برحمته، وفيه إشارةٌ إلى أن المربي ينبغي أن يتحلى بالرحمة، وأنه لا ينبغي أن يقسو على مَنْ يربيهم ويرشدهم.

58/ كتاب لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – للدكتور فاضل صالح السامرائي – المكتبة الشاملة الحديثة ، ومقال : الترابط في القرآن الكريم وفائدته في الحياة - علا الجمال – شبكة الألوكة – بتصرف .

وقد وصف الله رسوله، وهو المربي الأعظم والمصلح الأعظم بالرحمة فقال: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌعَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمؤمنين رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128] .

3/ ولذا أخبرنا أن رحمة الله سبقت عذابه ورحمته وسعت كل شيء المؤمن والكافر، ومن رحمته إرسال الرسل وقد يسأل سائل ويقول: ليته لم يرسل الرسل ولعشنا نفعل ما نشاء، وهذا لا يجدي لأن الله خلق الكون كله بنظام، سواء أبينا أورضينا، وإذا لم يخبرنا بالنظام الذي اختاره لنا واخترنا نظاماً آخرلخربت حياتنا ونفوسنا ولفسدت الأرض.

لأن صلاحها مرتبط بصلاحنا، ولأنه تعالى لم يخلقنا عبثاً، ولكن خلقنا للخلود وهذه الدار موصلة للحياة الأخرى، فالحمد لله أنه تعالى وهبنا الحياة للخلود ودلنا على طريق الفلاح الذي من سلكه سعد في الدارين .

* **   * * * *   * **

ومن رحمة الله أنه لم يجعل أحد العباد يحكم على أحد إلا لحكمة؛ لأننا نقول في الدعاء: "ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا".

ومن رحمته أنه جعل أمر الإنسان بيده فيعمل الإنسان ويتقي الله ولا يطيع فيه أحداً، والله يضمن له النجاة. ومن رحمته أنه يعلم ما تخفي الصدورويحاسبنا على ذلك .

ومن رحمته أيضاً أنه دلنا على ما يرضيه ويكفرعنا ذنوبنا، مثل الصوم والصلاة والإنفاق على الفقراء ووعدنا بالخلف، والصدقة أمان من الأمراض والفقر، والجاهلون من الناس يقولون: ماذا سنقول غيرالحمد لله؟ وكأنه يقولها مناً على الله وتفضلاً عليه، لكن المتأمل في حال الناس يرى أن من الواجب على الإنسان حمد الله على الحقيقة من أعماق قلبه، فصاحب المصيبة لا يدري أنه يستحق بذنوبه ما هوأشد منها ثم خففها الله برحمته، فلذلك نحمد الله.

ومن رحمة الله أنه يثيبنا على صبرنا على المصائب برغم استحقاقنا لها ويعوضنا خيراً بعدها، ولذلك يجب على أصحاب المصائب: الاستغفار، ومساعدة المحتاج، والدعاء حتى يكشف الله الهم، ومن رحمته أيضاً أنه تعالى أمهلنا لمراجعة النفس وأعطانا القدرة على تغيير النفس للأفضل، فجعل لنا إرادة وعقلاً ورزقنا الحواس لنتعرفه ونتقرب منه ونستخدمها في طاعته ومنفعتنا.

ومن رحمته أيضاً أنه جعل الملك له يوم القيامة ولم يجعله لإنسان، فربما يظلم الوالد ولده ويظن فيه ما ليس فيه؛ أما الله فهو يعلم السر وأخفى مما يطمئن العباد حتى لو أذنبوا لأن الله هو خالقهم ويعلم مواطن ضعفهم، وليس معنى هذا أن يعصي العبد الله متكلاً على عفوه، ولكن المسلم المؤمن لا يعصي الله متعمداً؛ إنما ناسياً أو جاهلاً، وإذا ذَكر الله أو ذُكِّر به تاب و أناب واستغفر وكفر عن ذنبه بكل الوسائل من صيام وصدقة وبر، ويأمل في عفو الله لعلمه به، أما الإنسان إذا حكم فهو يحكم بهواه ولمصلحته.

* ** * * * * * **

فمما قيل من بدائع الجمال البياني في قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [59]:

1/ معنى الهداية الإرشاد والدلالة والتبيين والإلهام. وفعل الهداية قد يُعدَّى بنفسه نحو قوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السبيل إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [الإنسان: 3]. وقوله: {وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2].

وقد يُعدَّى بإلى كقوله: {وَإِنَّكَ لتهدي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]. وقوله: {وَأَهْدِيَكَ إلى رَبِّكَ فتخشى} [النازعات: 19]. وقد يعدى باللام كقوله: {الحمد للَّهِ الذي هَدَانَا لهاذا} [الأعراف: 43].

2/ وقيل: إن الفرق بين التعدية بالحرف والتعدية من دون حرف أن التعديةَ بالحرف تقال إذا لم يكن فيه ذلك – الوصف - فيصل بالهداية إليه، وإن التعدية من دون حرف تقال لمن يكون فيه ولمن لا يكون فيه، فتقول: هَدَيتهُ إلى الطريق وهديته للطريق لمن لا يكون في الطريق فتوصله إليه، وتقول: (هديته الطريق) لمن كان فيه فَتُبصِرّهُ به وتُبَيِّنهُ له، وتقوله أيضاً لمن لا يكون فيه فتوصله إليه.

قال تعالى على لسان إبراهيم، عليه السلام قائلاً لأبيه: {فاتبعني أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً} [مريم: 43].
و أبوه ليس في الصراط، بل هو بعيد عنه.

59/ كتاب لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – للدكتور فاضل صالح السامرائي – المكتبة الشاملة الحديثة ، ومقال : الترابط في القرآن الكريم وفائدته في الحياة - علا الجمال – شبكة الألوكة – بتصرف .

وقال مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: {وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2] . وهو سالك للصراط. فتعديةُ الفعل بنفسه تقال لمن كان فيه أي في الصراط ولمن لم يكن فيه.

أما التعدية باللام وإلى فتكون لمن لم يكن فيه، وذلك نحو قوله تعالى على لسان الخصمين اللذين جاءا داود، عليه السلام، ليحكم بينهما: {فاحكم بَيْنَنَا بالحق وَلاَ تُشْطِطْ واهدنآ إلى سَوَآءِ الصراط} [ص: 22] . وقوله: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يهدي إِلَى الحق} [يونس: 35] . أي: يوصل إليه.

3/ جاء في تفسير ابن كثير: "وقد تُعدَّى الهداية بنفسها كما هنا: {اهدنا الصراط المستقيم} فتضمن معنى ألهمنا أو وَفِّقنا أو ارزقنا أو أعطنا {وَهَدَيْنَاهُ النجدين} [البلد: 10] أي: بيّنا له الخيرَ والشر".

وقد تُعدى بإلى كقوله تعالى: {اجتباه وَهَدَاهُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: 121] . {فاهدوهم إلى صِرَاطِ الجحيم} [الصافات: 23] . وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله: {وَإِنَّكَ لتهدي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] .

وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة: {الحمد للَّهِ الذي هَدَانَا لهذا} [الأعراف: 43] . أي وفَّقنا لهذا وجعلنا له أهلاً" . اهـ.

4/ والإنسان محتاج إلى هذه الهدايات كلها، فإن ضلَّ احتاج من يهديه إلى الطريق، وإن وصل احتاج مَنْ يُعرّفهُ بالطريق، وإن سلك احتاج الوصول إلى الهدف، وألاّ ينقطع في الطريق، وإن قطع الطريق، احتاج إلى من يبلغه غايته، وأن ينيله مرامه ويهديه له.

ولما كان هؤلاء من الموحدين الحامدين لله كان المعنى طلب استمرار الهداية على الطريق المستقيم، والتثبيت على الهدى والزيادة فيه كما قال تعالى: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد: 17] . "فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهدى ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها".

وعند ذلك يقول كما قال أصحاب الجنة، بعد أن قطعوا الطريق وبلغوا مرادهم {الحمد للَّهِ الذي هَدَانَا لهذا} [الأعراف: 43] . أي: وفقنا لهذا في خاتمة المطاف، وهي خاتمة الهدايات.

5/ والصراط المستقيم هو صراط الله وهو صراط الصالحين الموصل إلى الجنة، ولكننا إذا لم نعلم صفات المغضوب عليهم والضالين ربما نفعل مثلهم بجهل، ونحن نظن أننا صالحون مؤمنون، ورحمة الله تأبى إلا أن يخبرنا ويحذرنا.

* **   * * * *   * **

المحور الثاني

من بدائع الجمال البياني فى سورة الكوثر

قال الله تعالى : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(3)

الوقوف على جميع ما حوته هذه السورة - على قصرها - سيخرجنا عن موضوع الكتاب ولهذا سنشير إشارات مختصرة بعون الله تعالى وذلك بالنقل عن بعض المختصين .

السؤال الأول : ما هي صور الإبداع الجمال البياني في قوله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ؟

الإجابة : يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي [60] :

1- قوله تعالى (إنا أعطيناك) : في بناء الآية لغوياً يوجد تقديم الضمير إنا على الفعل أعطيناك وهو تقديم مؤكد تأكيد بـ (إن) وتقديم أيضاً. فلماذا قدم الضمير إنا؟ أهم أغراض التقديم هو الاهتمام والاختصاص.

فعندما نقول أنا فعلت بمعنى فعلته أنا لا غيري (اختصاص) .

و أنه خلق الزوجين ... ونوحاً هدينا من قبل.. (تفيد الاهتمام) .

في الآية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) يوجد الأمران: الاختصاص والاهتمام؛ فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصاً له وليس لأحد سواه وللإهتمام أيضاً وإذا كان ربه هو الذي أعطاه حصرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة. (إنا) : ضمير التعظيم ومؤكد .

2- (أعطيناك) : لماذا لم يقل آتيناك؟

هناك تقارب صوتي بين آتى وأعطى وتقارب من حيث المعنى أيضاً لكن آتى تستعمل لما هو أوسع من أعطى في اللغة فقد يتقاربان.

60/ كتاب لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – محاضرات - المكتبة الشاملة الحديثة – باختصار.

آتى تستعمل لأعطى وما لا يصح لأعطى (يؤتي الحكمة من يشاء) (ولقد آتينا موسى تسع آيات) (و آتيناهم ملكاً عظيماً) .

آتى تستعمل للرحمة، للحكمة، للأموال (و آتى المال على حبه) وتستعمل للرشد (و آتينا إبراهيم رشده) .

آتى تستعمل عادة للأمور المعنوية (لقد آتيناك من لدنا ذكرا) وقد تستعمل للأمور المادية أيضاً.

أما أعطى فهي تستعمل في الأمور المادية فقط (وأعطى قليلاً و أكدى) (فأما من أعطى و اتقى وصدق بالحسنى) .

إذن آتى تستعمل للأموال وغير الأموال و أكثر استعمالها للأمور الواسعة والعظيمة كالملك والرشد والحكمة.

3- ما دامت كلمة آتى أوسع استعمالا فلماذا إذن لم يستعمل آتى بدل أعطى؟

الإيتاء يشمله النزع بمعنى انه ليس تمليكا إنما العطاء تمليك. والإيتاء ليس بالضرورة تمليكا (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) (وآتيناه من الكنوز....ثم خسفنا به وبداره الأرض) إذن الإيتاء يشمله النزع أما العطاء فهو تمليك. في الملك يستعمل الإيتاء لأنه قد ينزعه سبحانه أما العطاء فهو للتمليك وبما انه تمليك للشخص فله حق التصرف فيه وليس له ذلك في الإيتاء.

* **   * * * *   * **

4- لماذا قال تعالى الكوثر ولم يقل الكثير؟

الكوثر من صفات المبالغة تفيد (فوعل وفيعل) تدل على المبالغة المفرطة في الخير. وقيل عن الكوثر انه نهر في الجنة وقيل الحوض وقيل رفعة الذكر وغيره وكل ما قيل يشمل الخير الذي أعطاه الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو كوثر ومن الكوثر أي الخير الذي انعم الله تعالى على رسوله به.

والكوثر : يدل على الكثرة المفرطة في الشيء والفرق بين الكوثر والكثير ان الكوثر قد تكون صفة وقد تكون ذاتاً أما الكثير فهي صفة فقط. وكون الكوثر صفة يدل على الخير الكثير وليس على الكثرة (الكثير هو الكثرة) ولكن الكوثر تدل على الخير الكثير والكثرة قد تكون في الخير وغيره.

فالكوثر هو بالإضافة إلى الكثرة المفرطة فهو في الخير خصوصاً. وقد تكون الكوثر الذات الموصوفة بالخير (يقال أقبل السيد الكوثر أي السيد الكثير الخير والعطاء) ولا يقال اقبل الكثير .

* **   * * * *   * **

السؤال الثاني : قال الله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) لماذا جاء اللفظ (انْحَرْ) ولم يقل أذبح كما أتى فى كل آيات القرآن؟

الإجابة : يقولها علماء اللغة .. فالنحر خاص بالإبل فقط بينما الذبح يشمل باقي الغنم و البقر ،و مع أن الآية كانت تتحدث عن الأضحيات فى عيد الأضحى و الذى يذبح فيه كل أنواع الأضحيات من بقر و ماعز و خراف و إبل ؛ إلا أن الآية هنا خصت الإبل لأنها أعظم و أغلى الأضاحى , و هذا مناسب لسياق الآيات، فمعلوم أن الله أعطى نبيه الخير العميم وقال (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) وهو نهر عظيم بالجنة له ميزابان ينتهى بالحوض على نهاية الصراط وبداية الجنة ، ثم أمره بأفضل العبادات وهي الصلاة فكان مناسبا لذلك أن يقدم النبى لله أفضل القرابين و أنفسها عند العرب وهي الإبل وقال (انْحَرْ) فجمعت هذه الكلمة حسنا إلى حسن ، روعة التعبير وجمال الفاصلة للآية.

السؤال الثالث : بما أن الله تحدى الإنس و الجن فى أكثر من موضع بالإتيان بسورة من مثل القرآن .. فلابد ان يكون الاتيان بمثلها فوق طاقة الانس والجن....ولكن لماذا....؟

الإجابة : يقسم اهل اللغة الضمائر إلى ظاهر و مستتر و متصل و منفصل والمفرد والجمع :

و كل هذه الأقسام وردت في هذه السورة على قصرها الظاهر (أَعْطَيْنَاكَ) و المستتر (انْحَرْ) المتصل فى (أَعْطَيْنَاكَ) والمنفصل (هُوَ الْأَبْتَرُ) و المفرد (ك)و الجمع(نا) و فى محل رفع (نا)فاعل (أَعْطَيْنَاكَ) ، و فى محل نصب.(ك)مفعول (أَعْطَيْنَاكَ) و في محل جر.(ك)مجرور(رب).

و الأفعال يقسمونها إلى صحيحة (نحر) و معتلة (صلى) و مزيدة (اعطى).

و الجمل يقسمونها حسب الأسلوب : خبرية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) و إنشائية (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) وحسب النوع إلى فعلية (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) و اسمية (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) و حسب الشكل إلى بسيطة (فصل لربك) و مركبة (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ).

وبالنظر الى العلاقة بين الجمل....احتوت على العلاقتين: الوصل , والفصل.. الفصل...بين جملة (انحر)والتي تليها (إِنَّ شَانِئَكَ) الوصل ..بين جملة (انحر)والتي سبقتها.....كل هذا في ثلاث جمل فقط .. سبحانك ربى [61].

* **   * * * *   * **

61/ ملتقى أهل التفسير-لسان العرب - إعداد /د. حازم فتحي - صفحة روائع الإعجاز العلمى و البيانى فى القرآن و السنة .

المطلب الثاني

صورمن بدائع الجمال البياني في القصص القرآني

المحورالأول : من بدائع الجمال البياني في قصة يوسف عليه السلام .

المحورالثاني : من بدائع الجمال البياني في قصة سليمان عليه السلام .

المحورالثالث من بدائع الجمال البياني في سورة يونس عليه السلام

المحور الأول

من بدائع الجمال البياني في قصة يوسف عليه السلام

السؤال الأول : تكررت كلمة قميص في قصة يوسف عليه السلام ثلاث مرات وكان للقميص دور بارز في القصة (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) الآية (18) (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ) الآية (25) (اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي) الآية (93) فما دلالة وجود القميص ثلاث مرات في القصة ؟

أجاب العلامة الدكتور فاضل السامرائي :

لم أتبين القصد من السؤال لكن في ذهني ملاحظات أقولها في هذه المسألة لعلها تكون جواباً عن السؤال أو جزءاً من الجواب الذي يبتغيه السائل.

أولاً : ثلاث مرات استعمل القميص بيّنة في ثلاثة مواضع : استُعمِل بيّنة مزوّرة في قوله (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) هذه بينة مزورة وليست بيّنة صحيحة (بدم كذب) جاءوا يستدلون على قولهم أن الذئب أكله بالقميص الذي عليه دم كذب. هذه البيّنة مزوّرة.

واستعمله مرة أخرى بيّنة صحيحة للوصول إلى براءة يوسف (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ) إذن الأولى كانت مزورة والثانية بيّنة صحيحة للاستدلال على البراءة.

والبيّنة الثالثة : استعمل بيّنة صحيحة للدلالة على أن يوسف لا يزال حياً (اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) كانت بشرى لوالده وسبب لردّ بصره. بينة صحيحة في قميص يوسف وفي الرائحة تستعمل الآن بيّنة الكلاب البوليسية تستعمل للاستدلال على الرائحة. ليس بالضرورة أنه القميص الأول لكن يعقوب عليه السلام يعرف رائحة ابنه.

وردت قميص ثلاث مرات واستعمل في كل مرة بيّنة، ثلاث بينات: بينة مزورة وبينة صحيحة للوصول إلى الحكم وبينة صحيحة للاستدلال على أن يوسف لا يزال حياً.

ثانياً : أن القميص استُعمل بداية لحزن يعقوب (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) ونهاية حزنه (اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا).

ثالثاً : استعمل ثلاث مرات في ثلاث مراحل من حياة يوسف عليه السلام : وهو صغير (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ).

رابعاً : استُعمل القميص لثلاث مراحل زمنية معاشية في حياة يوسف عليه السلام:

المرحلة الأولى : مرحلة رميه في الجب (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) صيّرته مملوكاً وعاش غريباً مع غير أهله.

المرحلة الوسطى : سجنه بعد الحادثة مع امرأة العزيز دخل مرحلة أخرى وهو السجن وهذه المرحلة لما بلغ أشدّه وصارت معيشة أخرى غير النمط الأول.

المرحلة الثالثة : جمع شمله بأهله وسعادتهم أجمعين.

إذن ثلاث مراحل الأولى عندما أصبح مملوكاً وفراقه عن أهله والثانية عندما صار سجيناً والثالثة اجتماعه بأهله.

هناك مسألة لما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، إذن رائحة يوسف في القميص وهذا أمر ثابت أن لكل إنسان له رائحة خاصة لكن لا يميزها كل الناس وإنما تميزها الكلاب البوليسية. ثم من الناس من إذا عصبت عينيه تعطيه قميصاً تسأله لمن؟ يقول لفلان ويعرفه من الرائحة.

* **　　　* * * *　　　* **

هناك أمر آخر الملاحظ الموافقات في قصة يوسف: القميص ذُكِر في ثلاث مواطن والرؤى ثلاثة: رؤيا يوسف وهو صغير (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يوسف (4) ، رؤيا السجينين ورؤيا الملك.

إذن القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة والرحلات إلى يوسف ثلاثة:

الرحلة الأولى : لما جاءوا يستميرون يوسف ليأخذوا الميرة (وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) (58).

والرحلة الثانية : لما جاءوا بأخيهم واستبقاه عنده (وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) (69)

والرحلة الثالثة : لما قالوا (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ) (88).

إذن ثلاث رحلات ، وثلاثة قمصان والرؤى ثلاثة هذا من الموافقات العجيبة في قصة يوسف عليه السلام .

الرؤى متغيرة ليست نفسها لأن الرائي ليس واحداً وإنما هي رؤى مختلفة والقميص ليس واحداً وإنما متغير أيضاً قميص وهو صغير وقميص لما بلغ أشده وقميص أرسله إلى أبيه.

* **   * * * *   * **

السؤال الثاني : ما هي البدائع الجمالية البيانية في قوله تعالى(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) يوسف) (20) ؟

الإجابة : في الآية عدد من الدلالات البيانية البديعة :

1- الناحية الجمالية البيانية في قوله تعالى(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) :

قال الدكتور حسام النعيمى : هؤلاء أهل القافلة (وشروه بثمن بخس) بمعنى باعوه.(بثمن بخس) أي دون قدره. ليس القليل لأنه قد يكون كثيراً لكن دون قيمته الحقيقية.

البخس فيه نوع من الظلم أنت قد تشتري شيئاً يبيعه لك أحدهم بعشرة آلآف درهم ثم يقال هذا ثمن بخس لأنه يستحق مثلاً 15 ألف درهم فالعشرة آلآف ليست قليلة ولكن دون قدره.

2- ما الفرق بين دلالة الجمع في معدودة ومعدودات؟

قال الدكتور فاضل السامرائي : القاعدة: جمع غير العاقل إن كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم كأنهار جارية وأنهار جاريات، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات، وأشجار مثمرة أكثر من مثمرات وجبال شاهقة أكثر من حيث العدد من شاهقات فالعدد في الأولى أكثر، وجمع السالم قلة. فهذه من المواضع التي يكون فيها المفرد أكثر من الجمع.

معدودات جمع قلّة وهي تفيد القلّة - وهي أقل من أحد عشر - أما معدودة فهي تدل على أكثر من أحد عشر، وقد قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) أي أكثرمن أحد عشر درهما، ولو قال معدودات لكانت أقل.

3- ومن الإعجاز التاريخي للدراهم :

الإجابة : حينما سمع الملاحدة هذه الآية لمعت أعينهم و قالوا : خطأ فادح .. لقد كان قدماء المصريين يتبعون نظام المقايضة فى المعاملات .. فيعطيك أحدهم القمح مقابل أن تعطيه التمر مثلا .. ولم يكونوا يعرفوا العملات لا معدنية ولا ورقية .. لا فى زمن يوسف و لا حتى زمن موسى و سليمان عليهم السلام .. فالعملات المعدنية تم استعمالها أول مرة فى عهد الأمبراطورية اليونانية بعد يوسف بمئات السنين !!

لقد كان علماء الآثار بالفعل يعتقدون أن المعاملات فى عهد قدماء المصريين تتم عبر المقايضة،واستمر هذا المفهوم سائدا حتى اكتشفت مجموعة من الباحثين بقيادة الدكتور سعيد ثابت مجموعات من العملات المعدنية تعود لعصر الفراعنة، فكان بعضها من الذهب و بعضها من الفضة .. و قد نقش عليها أسماء الفراعنة ورموز للآلهة.

العجيب أن من بين هذه العملات وجدوا عملات مرسوم عليها صورة رمزية للنبى يوسف عليه السلام و مدون عليها اسمه الحقيقى (يوسف) بنفس اللفظ .. و عملات أخرى مدون عليها اسمه الآخر (سابا- سبنى) باللغة الهيروغليفية .. وهو الاسم الذى منحه له ملك مصر بعد توليته على أمر الخزانة .. و وجدوا عملات أخرى لنفس الملك مرسوم عليها بقرة فى إشارة إلى حلم الملك بسبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ..

ليس هذا فحسب .. بل كثرت على هذه العملات التى جمعت بين رموزللملك مع يوسف صور لصواع الملك الذى كان يرمزلكأس السقاية و الإطعام .. (قالوا نفقد صواع الملك) يوسف

كان اسم هذه العملة (الدبن) ولكن القرآن أشارلها بالدرهم .. لأن الدبن كان إما من ذهب أو فضة .. فإذا ذكر(الدبن) لما عرف الناس ما هذا .. لكن العرب كانت عملتهم إما ذهب (دينار)

وتشترى بها الأشياء النفيسة .. وإما (فضة) وتشترى بها الأشياء الرخيصة .. وهذا هو مقصد الآية .. باعوا يوسف – وهو النبى – بدراهم (من فضة) ومعدودة أيضا [62].

* ** * * * * * **

السؤال الثالث : وهو ذو شقين : يقول الله عزوجل (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)

لماذا قال : أجد ريح يوسف وليس أشم ريح يوسف وكيف وجد الرائحة والقافلة بمصر وهو بفلسطين ؟

الإجابة على الشق الأول أن الفعل وجد يستعمل للمفقود .. تقول وجدت المفتاح إذا كان مفقودا ووجدته .. عكس أشم التي لا تفقد هذا المعنى .. فلو قال أحدهم أشم رائحة شواء .. لا يكون معناها أن الشواء كان مفقودا ووجده ..

كما أن (وجد) و(ظل) و(زعم) و(خال) هذه تستعمل للأمور القلبية .. فلو قال أحدهم (ظلت صورته أمام عينى) أوحى لنا بأنه يحب من يتحدث عنه .. ولو قال (وجدت فى الإسلام مقصدى) أوحى إلينا أيضا بأن قلبه قد انشرح لهذا الدين ..

أما إجابة الشق الثانى : كيف شم رائحته والقافلة فى مصر ويعقوب بفلسطين ؟ .. فلِمَ العجب أخي .. فالذى أتى لسليمان بعرش بلقيس من سبأ عن طريق أحد مخلوقاته (الجن) .. قادر على أن يحمل ريح يوسف إلى أنف يعقوب عبر مخلوق آخر (الريح) .. ويذكر علماء التفسير ما روى فى الأثر من أن قميص يوسف هذا كان موروثا عن إبراهيم عليه السلام و هو من الجنة .. فبمجرد أن أظهره يوسف .. فاحت رائحته وملأت الأرض .

والحكمة من هذه المعجزة أن نتعلم التعجيل بالبشرى .. فالقرآن لما وصف مجىء أخو يوسف لأبيه بالقميص لم يسميه أخا يوسف بل قال (فلما جاء البشير) فإذا كنت تعلم خبرا رائعا لأخيك فعجل بتبليغه فهذا محبب ..

62/ مقال بجريدة الأهرام 22-9-2009 م - باختصار - إعداد / صفحة روائع الإعجاز العلمى والبيانى فى القرآن والسنة .

قال أهل المعاني : إن الله تعالى أوصل إليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة ومجيء وقت الروح والفرح من المكان البعيد ، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى في مدة ثلاثين سنة ، وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب ، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل [63].

* ** * * * * * **

السؤال الرابع : قال تعالى في سورة يوسف الآية(14) (قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ) ويقال في اللغة افترسه الذئب فما دلالة استخدام أكله في الآية؟

الإجابة : قال الدكتورفاضل السامرائي :

معنى افترس يختلف عن معنى أكل،إفترس يعني دقّ عنقه وكسره والافتراس أصلاً معناه الكسر ودق العنق وهو مقدمة للأكل. افترسه دق عنقه وكسره هذا في اللغة فإذا افترسه ليس شرطاً أن يأكله ومحتمل أن يُنقذ منه لكن في الآية ذكر الأمر النهائي أنه أكله.

والقوم إنما أرادوا أن الذئب أتى عليه كله، ولم يترك منه شيئًا، لا لحمًا، ولا عظمًا، ولو قالوا: (افترسه الذئب)، لطالبهم أبوهم ببقية منه، تشهد بصحة دعواهم؛ ولهذا لم يصلح في هذا الموضع إلا أن يعبِّروا عنه بلفظ (الأكل)، وهو شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع[64].

* ** * * * * * **

63/ محاضرة للدكتور: فاضل السامرائي - إعداد صفحة روائع الإعجاز العلمى والبيانى فى القرآن و السنة .

64/ محاضرة للدكتور: فاضل السامرائي - إعداد صفحة روائع الإعجاز العلمى والبيانى فى القرآن و السنة ، وقال : من أسرار الكلمات في القرآن الكريم - د. طارق السيد طبل – الألوكة .

المحور الثاني

من بدائع الجمال البياني في قصة سليمان عليه السلام

السؤال الأول : بلقيس كانت قد وضعت عرشها في مكان آمن .. و رغم ذلك استطاع سليمان عليه السلام أن يأتى به و نكَّره لها - أى أضاف أشياء عليه تغير شكله - ثم سألها : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو ؛ لقد كان من المفترض أن تعلن إسلامها بمجرد رؤية عرشها.. ومع ذلك لم تعلن إسلامها إلا حينما دخلت الصرح .. لماذا ؟

الإجابة : بداية نقول : أن الذى أتى بالعرش هو واحد من الإنس و ليس الجن ؛و كان صِدِّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعي به استجاب وهذا مقصد (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) النمل (40) .

لم يكن الهدف من السؤال : أهكذا عرشك ؟ أن يعرف صدقها أم كذبها مع سليمان، فلو كان الأمر كذلك لما كان هناك حاجة لأن ينكِّر لها عرشها ، فيحضر عرشها و يسألها مباشرة : أهذا عرشك ؟ فإن قالت نعم صدقت .. و إن لا فكذبت .. و لكن كان الغرض أن يعرف صدقها أو كذبها فى الهداية للحق .

لقد كانت بلقيس تعلم يقينا أنه عرشها .. و لو سألها : أهذا عرشك ؟ لقالت : نعم .. لكن تنكير العرش هو الذى جعلها تقول : كأنه هو.

كان سليمان يستخدم العرش والصرح كأدوات وكأمثال فقط لهدف أعظم وهو أن يعلّم ملكة سبأ أن دينها عبادة الشمس وأوهام قومها الذين ظنوا أنه لا أحد يستطيع أن يفوق قوة الشمس ، قد صدها عن أن تعلم حقيقة أن الله هو الإله الحق تماما كما صدتها أوهامها حول عرشها - ظنها أنه موجود باليمن ولا أحد يقدر على أخذه - عن معرفة حقيقة أن الذي أمامها هو عرشها ، كذلك صدتها أوهام دينها الذي ورثته عن قومها الكافرين عن معرفة الحقيقة الساطعة أن الإله الحق هو الله .

ثم أتى الاختبار الثانى و الذى يؤكد الأول .. صرح من زجاج أملس .. حسبته ماءا فكشفت ساقها ولما لامست قدمها الزجاج تبين لها بطلان ما اعتقدت . وهنا مربط الفرس ، فما كان منها إلا أن خجلت من وهمها و انعدام بصيرتها، إذ لم تستطع تمييز الزجاج من الماء ، فاستوعبت على الفور

الرسالة فقد يظنّ الإنسان بجهله أنه على حقّ ، وهذا هو حالها وقومها بعبادة الشمس من دون الله ، فتبينت بالتجربة والبرهان بطلان معتقدها ، وأن الحقّ مع سليمان عليه السلام وفوراً (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) النمل (44) .

و صدق الله فى قوله : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) الأنبياء (79) .

و أختم بلطيفة سرية أهمس بها فى آذانكم .. بخصوص قوله (وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا) ملكة لها كل العزو الكبرياء و الأناقة و التبرج , و مع ذلك مستترة .. فما هو حال بنات المسلمين الآن ؟ [65].

* **   * * * *   * **

السؤال الثاني : لماذا أرسل سليمان الهدهد لملكة سبأ .. و لم يرسل الجن وهم أسرع منه ؛أو الحمام الزاجل وهي أكثر منه خبرة بالملاحة الجوية ؟ [66].

أولاً : لم يستخدم الجن لأنه كان معروفا لديه كذبهم .. و ذكر القرآن ذلك عندما مات و لبثت الجن تعمل إلى أن أكلت الأرضة منسأته فأثبت للإنس كذبهم و عدم علمهم الغيب.

ثانياً : لإجابة هذا السؤال و كل الأسئلة التى قد تعرض أمامك الآن .. يجب عليك أن تحلل القصة كما ذكرها القرآن حرفا حرفا ..

فى البداية لم يجد سليمان الهدهد ضمن الجيش فتوعد بقتله ... بعد قليل أتى الهدهد موضحا سبب غيابه بأنه رأى قوما تملكهم امرأة يعبدون الشمس .. ثم أخذ يتعجب كيف لهؤلاء ألا يعبدوا الله ؟! .. و لم يشفع له ذلك أمام سليمان فقال له : (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

و أمره أن يذهب إليهم و يلقى إلي بلقيس برسالة و ينتظر ماذا سيفعلون ثم يأتى إلى سليمان و يخبره ..(ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) .

65/ خواطر العلامة محمد شاكر - إعداد الدكتور: حازم فتحى - صفحة روائع الإعجاز العلمى و البيانى فى القرآن و السنة .

66/ إعداد د/حازم فتحي - صفحة روائع الإعجاز العلمي في القرآن .

ذهب الهدهد و ألقى بالرسالة إلى بلقيس , و ذهب فى أدب يقف جانبا .. و مشهد الهدهد هنا يكفى وحده لتعلم هذه الملكة مدى قوة مُلك سليمان .. إذ لم يكن معهودا أن يُستخدم الهدهد فى المرسال .. قرأت الرسالة : (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) النمل (30).

فجمعت قومها فورا و استشارتهم .. قالوا لها نحاربه .. فاعترضت فورا لأنها استنبطت من مشهد الهدهد مدى قوة هذا السلطان .. و اقترحت أن ترسل إليه بهدية ثمينة , فإن كان من أصحاب الدنيا قبل الهدية و سلمنا من شره , و إن كان نبيا من الله لم يقبل منا غير التوحيد لله ورفض الهدية .. و بالفعل أرسلت رسلها بالهدية.

هنا طار الهدهد عائدا لسليمان و أخبره بما حدث .. و أن الرسل فى الطريق معهم الهدية .. الرحلة من اليمن لفلسطين تستغرق ثلاثة أشهر مكثها سليمان ينتظر الرسل .. فلما أتوا بالهدية تبين فورا صدق الهدهد , ورفضها سليمان وتوعدهم بالحرب .. فرجعوا إلى الملكة .. التى قررت أن تذهب بنفسها لسليمان لترى أمره ..

اختيار الهدهد هنا – وليس الحمام الزاجل - لم يكن فقط لأنه المعنى بالأمر .. بل لأنه غير معهود أن ينقل رسائل , و فعله ذلك يثبت قوة ملك سليمان .. و أضيف لكم لطيفة .. أن اختيار الهدهد لهذه المهمة بالكامل كان بترتيب الله .. لأن الهدهد يتحمل الجوع و العطش أكثر من أى طير آخر و يعرف أماكن الماء فى الصحراء فيرتوى منها .. كما أنه يطير وحده بخلاف باقى الطيور التى تطير فى أسراب .. فلا يلفت النظر , و هذا مناسب لحمل رسالة دعوية عظيمة بين ملكين.

* **　　　　* * * *　　　　* **

السؤال الثالث : لماذا استخدم القرآن لفظة العصا مع قصة سيدنا موسى .. بينما استخدم لفظة المنسأة مع قصة موت سليمان ؟

العصا فى اللغة تطلق حينما تستخدم لأكثر من شىء .. قال موسى عليه السلام فى خطابه لربه (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)

و لقد استخدمها موسى فى الاتكاء و ضرب الأشجار ليتساقط ورقها فتأكل منه الغنم و أضاف الله سبحانه على ذلك أن شق له بها البحر و حولها إلى حية عملاقة يناظر بها سحرة فرعون .. لذلك أتى استخدام لفظة (العصا) مناسب لعصا (موسى) لكثرة أغراضها ..

أما (المنسأة) فهى العصا العظيمة التى تطلق فقط حينما يراد بالعصا استخدام واحد فقط و هو الضرب و زجر الجِمال المعروفة بشربها الكثير للماء ..لإعطاء الفرصة للمعز و الخراف فى حصتهم من الماء ... الخلاصة أنها تستخدم للزجر و الضرب فقط .

و هى مشتقة من(النسء) و يعنى تأخير الوقت ومنه النسيئة وهو البيع بالتأخير و(نسأ الله في اجله) إي أخره وزاد فيه ،و استعمال لفظة المنسأة مناسب لعصا سليمان , لأنه استخدمها فى قهر الجن الذين سُخّروا له بدليل قوله لما رأوا موت سليمان (ما لبثوا فى العذاب المهين) .. و فى ترتيب الجيوش و سوقهم فى صفوف منظمة (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) .

أما فى العصا مع موسى فهو الأنسب لأن الغنم لا تحتاج إلي عصا عظيمه لسوقها كما انه استعملها في مقام الر أفة بالحيوان والرحمة به .. و هنا لا يناسبها لفظ منسأة [67].

* **   * * * *   * **

67/ كتاب أسئلة بيانية - للدكتور فاضل سامر ائي - إعداد د/ حازم فتحي - صفحة رو ائع الإعجاز العلمى والبيانى .

المحور الثالث

من بدائع الجمال البياني في سورة يونس عليه السلام

السؤال الأول : حينما عبّر القرآن عن هذه الحظة ابتلاع الحوت لسيدنا يونس عليه السلام لم يقل (فابتلعه) أو (فأكله الحوت) و إنما قال فالتقمه الحوت، و كلمة (التقم) تطلق على الشيء و هو لا يزال بالفم و منها كلمة (اللقمة) .. لكن ماذا يعنى هذا ؟

الإجابة : الحوت كائن ضخم يصل وزنه 90 طن .. و فمه يتسع ل 50 رجلا واقفين بداخله .. تخيل مدى الضخامة !! و رغم ذلك فهو يتغذى على العوالق و القشريات .. لأنه ليس لديه أسنان للمضغ .. و يبتلع أثناء انتقاله الماء بما فيه من قشريات , ثم يعتصر هذا الماء من خلال شرائح فى مقدمة الفم تسمى بالصفائح البالينية , ثم تتبقى فى الفم القشريات الدقيقة و الأسماك الصغيرة جدا فيقوم ببلعها , و هو لا يبتلع الأسماك الضخمة و لا الإنسان .

سيدنا يونس لم يدخل إلى بطن الحوت ، لأن هذا يعتبر موت محقق , لكنه مكث فى فم الحوت الذى يحتوى على الهواء , لأن الحوت يطل برأسه فوق الماء كل 10 دقائق .. و يعلم علماء البحار أن الحوت حينما يبتلع كميات هائلة من الحبار , يصعب عليه هضمه فيمزجه داخل معدته بمادة الأمبيرين و الإيبيكوبروستانول .. فتتكون مادة (العنبر) ذات الرائحة الزكية .. و التى يحتاج أن يخرج إلى الشاطىء يوميا ليلفظها ..

ولعل ذلك هو السر فى اختيار الحوت ليلتقم يونس عليه السلام ففمه لا يحتوى أسنان فلو كان القرش مثلا لفتك به بأسنانه ؛ كما أن فمه يعمل كغرفه لن يكون على يونس فيها ضرر سوى مفاجئة الحدث و الظلمة الشديدة؛ و يحتاج للخروج للشاطىء ليلفظ العنبر

ونختم بقوله تعالى (**فلولا أنه كان من المسبحين (143) للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) فالبطن فى اللغة تُلطق على المكان الواسع .. فمعدة الحوت و فمه و رئتيه (بطن) ، كما نقول (بطن مكة و بطن الوادى) [68] .

* **   * * * *   * **

68/ إجابة الدكتور زغلول النجار- إعداد د. حازم فتحى - صفحة روائع الإعجاز العلمي والبياني في القرآن والسنة .

السؤال الثاني : بعد أن خرج يونس عليه السلام من فم الحوت .. على الرمال عريانا مريضا مغموما .. لماذا أنبت الله له شجرة اليقطين(الدُباء أو القرع) و ليس الموز أو التفاح من الفاكهة ؟

تأتينا الإجابة من أهل العلم بأن جسد يونس عليه السلام بعد خروجه من الحوت , لابد و أن كان ملتصقا عليه عوالق البحر من القشريات , و هذه رائحتها تجذب الذباب و الهوام كما نعلم .. ورق شجر اليقطين هو الشجر الوحيد الذى ينفر الذباب , لأنه يصدر فورمون ينفر منه الحشرات الطائرة ..كما أن ورق هذه الشجرة عريض فيحمى من أشعة الشمس ،أما الثمرة ذاتها ف تؤكل بمجرد أن تظهر , فلا حاجة لإنتظارها حتى تنضج , وتؤكل نيئة ومطبوخة .. كما لا يحتاج آكلها إلى شرب الماء لأنها تمده بكل ما يحتاجه جسمه ..

و لكننا أغفلنا هنا أهم شيء .. لقد كان يونس مريضا فكيف سيتغلب على هذه المشكلة ؟

حسنا ..فاليقطين يحتوى على مضادات حيوية طبيعية و خوافض للحرارة , و منشطات لوظائف الكلى و الكبد و مهدئات للأعصاب و مضادات للصداع و قصور القلب و التهاب المسالك و الحروق و السعال و الربو ..

ونختم بلطيفة قرآنية .. يقول الله (فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون).. هذا هو السبب فقط الذى جعل الله يتكفل بكل هذا الإعداد من أجل نبيه يونس .. فلم يقل (لولا أن كان من المرسلين أو النبيين ..) بل التسبيح و ذكر الله فى أيام الرخاء هى فقط من وقفت له شفيعا فأزاحت عنه الغمة [69].

* ** * * * * * **

69/ موقع طريق الإسلام - إعداد الدكتور حازم فتحى - صفحة روائع الإعجاز العلمى والبيانى فى القرآن و السنة .

المطلب الثالث

صور من بدائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المحور الأول : من بدائع الإعجاز البياني والعلمي في سورة الكهف .

المحور الثاني : سبع أسرار لكشف الكذّاب من بعض آيات القرآن .

المحور الثالث : الإعجاز العلمي في شهادة المرأة .

المحور الأول

من بدائع الإعجاز العلمي في سورة الكهف

السؤال الأول : كيف لم ترصد الأقمار الصناعية يأجوج و مأجوج و سد ذي القرنين رغم أن أعدادهم كثيرة بالمليارات ؟ [70].

هذا السؤال تشدق به الكثير من الملحدين تكذيبا لحديث القرآن ..العجيب فى الأمر أن الإجابة قد أتتهم من القرآن .. فلقد ألقى القرآن الضوء على سد ذى القرنين قال تعالى:(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا).

هنا القرآن يذكر أن السد كان من قطع الحديد التى أذاب عليها النحاس المصهور..

بعد اختراع جهاز التصوير الطبى (الرنين المغناطيسى) فوجىء العلماء بأن الأشعة الصادرة من غرفة الأشعة تؤذى كل من يتعرض لها .. فقرروا بناء حائط من مادة تحجب هذه الإشعاعات الكهرومغناطيسية الضارة ..

ولقد ظل العلماء يجرون تجاربهم عشرات الأعوام حتى توصلوا لما يعرف باسم (Fraday's cage)

وهو حائط من مادة مكونة من سبائك الحديد بينها نحاس مصهور.. وهى مادة شديدة الصلابة لا تستطيع معظم القوى اختراقها .. حتى الأشعة .. لذلك رغم كثرة يأجوج و مأجوج فإنهم لن يستطيعوا تحطيم هذا السد .. بل الذى سيدكه هو الله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) .

سبحان الله القرآن قد أشار لهذه المادة منذ أكثر من 1400 عام .. و الآن عرفنا لماذا لم تتمكن الأقمار الصناعية من رصدهم .. فأى إشارة يتم توجيهها لمكانهم يتم ردها مباشرة إلى القمر الصناعى .. و سبب إخفائهم هو أنهم علامة من علامات الساعة الكبرى .. فلو تم اكتشافهم لما أصبحت علامة .

70/ إعداد صفحة روائع الإعجاز العلمي والبياني في القرآن و السنة .

و جدير بالذكر أن القرآن قد وصف ما أقامه ذو القرنين (بالردم) .. و هذا دليل على أنهم فى مكان ما بباطن الأرض و ليسوا على سطحها المواجه للشمس مثلنا ..

و علينا أن نذكر هنا ما حدث لبنى إسرائيل حين ضرب الله عليهم التيه فضلوا أربعين سنة في فراسخ قليلة من الأرض ,فلم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه,والله عزوجل على كل شيء قدير.

فالإنسان كلما تعلم شىء اكتشف أنه ما زال أمامه الكثير ليتعلم .. و صدق الله فى قوله : (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء (85) .

* ** * * * * * **

السؤال الثاني وهو ذو شقين: بخصوص ذى القرنين و يأجوج و مأجوج [71]:

الشق الأول : لقد حبس ذو القرنين الأجداد خلف السد .. فما ذنب الأحفاد لأن يبقوا محبوسين كل هذه الفترة لمجرد أن أجدادهم الأوئل كانوا مجرمين ..؟

الشق الثاني : لماذا لم يقتلهم ذو القرنين .. لماذا تركهم يتناسلون حتى يذيقوا البشرية ويلات العذاب قرب قيام الساعة ؟

إجابة الشق الأول : هذا ما يعرف عند علماء التفسير باسم (الاستقراء) .. مثلا سيدنا نوح عليه السلام .. وقف ذات يوم يدعو الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ سورة نوح (26-27) .

هنا نراه دعى على قومه بالهلاك .. و أن ذريتهم كلها ستكون من الفجرة و الكافرين .. هنا نجده قد استقرأ حالهم و طباعهم الخبيثة بأنهم لن يؤمنوا و لن يخرج من أصلابهم إلا الكفار.. فلقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين و لم يؤمن معه إلا قليل .. ومثال ذلك أيضا أبو لهب .. لعنه القرآن (تبت يدا أبى لهب و تب) .. و هنا استقراء من الله لحاله بأنه لن يؤمن مهما حدث .. و الوليد بن المغيره (سأصليه سقر) .. و العكس صحيح .. فبعد عودة نبينا محمد عليه الصلاة و السلام من رحلة الطائف .. نزل عليه ملك الجبال يسأله أن يطبق علي قريش الجبلين فيهلكهم

71/ إعداد / د. حازم فتحى .. صفحة روائع الإعجاز العلمى و البيانى فى القرآن و السنة

.. فرد الرحمة المهداة : لا ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله "

ذلك أنه علم باستقراء حالهم أنهم لا يعلمون فهم يمتنعون عن الإيمان لقلة تعلمهم ، وأنهم في حاجة إلى التعليم .. ولقد آمن من أمته الكثير رغم أنه مكث فيهم بضع و عشرين عام فقط .. بخلاف نوح الذى مكث 950 عام فلم يؤمن معه إلا قليل ..

هنا الذى استقرأ حال يأجوج ومأجوج هو الله عزوجل .. فلن يؤمن منهم بالله أحد .. و هم يوم القيامة أكثر أهل النار فمن أمة محمد واحد و منهم تسعة وتسعين وتسعمائة في جهنم .. ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح أنهم يحفرون السد كل يوم فلا يستطيعون ثقبه حتى يأتى اليوم الذى يأمرهم فيه أحدهم (أذهبوا و سنعاود الحفر غدا إن شاء الله) فيدكه الله .. عبارة (إن شاء الله) هذه لا يقولها إلا من وصل إليه شىء من الوحى .. هذا دليل أنه قد وصلهم شىء من علم الأنبياء ورغم ذلك نراهم يقتلون وينهبون فى همجية .. هم و آباءهم و أجدادهم .. بل و أحفادهم إلى قيام الساعة.

* **   * * * *   * **

أما إجابة الشق الثانى : فهو أن وحى الله لذى القرنين : (قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) فالله أمره بعدم قتالهم و أن يكتفى ببناء السد فقط .. رحمة بأهل الأرض يومئذ و هلاكا وعذابا لشرار الخلق بهم قرب الساعة من باب (اللهم أهلك الظالمين بالظالمين) .. و شىء آخر أنه لا يستطيع أحد قتالهم مهما أوتى من قوة .. فقرب الساعة سيخرجون فلا يستطيع عيسى عليه السلام و من معه من المؤمنين على قتالهم وفى الأحاديث الصحيحة تقدم من قصة عيسى عليه السلام وأن الله عزوجل سيقول له :{ إني قد بعثت عباد لي لا يدان لأحد يقتالهم فحرز عبادي إلى الطور} رواه مسلم .

* **   * * * *   * **

السؤال الثالث : وهو في الناحية البيانية : يقول الشيخ محمد الخضر حسين [72]:

وأذكر بهذه المناسبة أني زرت الشيخ محمد بن يحيى الشنقيطي في الحجرة التي نزل بها من زاوية الشيخ إبراهيم الرياحي في تونس سنة 1315، فوجدته يتلو من حفظه الأبيات التي وجهها السائل للشيخ السبكي، ويقول فيها:

أَسَيِّدَنَا قَاضِي القُضَاةِ وَمَنْ إِذَا ... بَدَا وَجْهُهُ اسْتَحْيَا لَهُ القَمَرَانِ

رَأَيْتُ كِتَابَ اللهِ أَكْبَرَ مُعْجِزٍ ... لأَفْضَلِ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلاَنِ

وَلَكِنَّنِي أَبْصَرْتُ فِي الكَهْفِ آيَةً ... بِهَا الفِكْرُ فِي طُولِ الزَّمَانِ عَيَانِي

وَمَا هِيَ إِلاَّ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَقَدْ ... أَرَى اسْتَطْعَمَاهُمْ مِثْلَهُ بِبَيَانِ

فَمَا السِّرُّ لِلقُرَّاءِ فِي وَضْعِ ظَاهِرٍ ... مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنَّ ذَاكَ لَشَانِ

وذكر في الجواب : أن أهلها جمع مضاف يفيد العموم، فيدل على أنه استطعم جميع أهل القرية، بخلاف ما لو أتى به ضميرًا، فإنه يحتمل أن يكون الاستطعام لمن أتاهم، وهم سكان أول القرية.

* **   * * * *   * **

72/ مقال : إعجاز القرآن وبلاغته - الشيخ محمد الخضر حسين – شبكة الألوكة .

المحور الثاني

سبعة أسرار لكشف الكذّاب من بعض آيات القرآن

قام باحثون بتسجيل صوتي لإنسان وهو يتحدث بصدق، وفي اللحظة التي يكذب فيها كانت الترددات الصوتية الصادرة عنه تتغير....

1- لاحظ بعض الباحثين تغيرات تحدث في تقاسيم الوجه أثناء الكذب، فقام بتجربة تتضمن تصوير إنسان يتحدث بصدق وفي اللحظة التي يكذب فيها تظهر ملامح محددة على وجهه تختلف عن حالة الصدق، ولكن هذه الملامح سريعة جداً ولا تدركها العين البشرية. واستخدم طريقة التصوير السريع لإدراك هذه التغيرات، ثم قام بإبطاء الصورة فلاحظ أن ملامح الوجه تتغير بشكل واضح أثناء الكذب.

والعجيب أن القرآن أشار إلى ذلك بقوله تعالى عن المنافقين الذين يكذبون ويقولون عكس ما في قلوبهم: (وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ) [محمد: 30]. أي أن الله لو شاء لجعل نبيَّه يرى كذب هؤلاء من خلال تقاسيم وجههم (سيماهم) أي السمات والملامح التي ترتسم على الوجه، وهذه إشارة واضحة إلى طريقة كشف الكذب من خلال الوجه. أي أن هذه الآية تؤكد أنه يمكن كشف الكذب من خلال تقاسيم الوجه، وهو ما يستخدمه العلماء اليوم من خلال أجهزتهم، فسبحان الله!

2- قام باحثون بتسجيل صوتي لإنسان وهو يتحدث بصدق، وفي اللحظة التي يكذب فيها كانت الترددات الصوتية الصادرة عنه تتغير، أي أن الموجات الصوتية التي يسجلها الجهاز لها شكلان: الشكل الأول هو حالة الصدق، والشكل الثاني هو حالة الكذب. وقد كان واضحاً الفرق بينهما.

والمذهل أن القرآن أشار إلى هذه الحقيقة العلمية في قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد:30]. ففي هذه الكلمات إشارة واضحة إلى معرفة أو كشف الكذب من خلال الصوت (لَحْنِ الْقَوْلِ)، واللحن هو التغير الطفيف في الصوت أثناء الكلام. ولذلك فإن الآية أشارت إلى طريقة كشف الكذب من خلال الصوت قبل أن يكتشفها العلماء بأربعة عشر قرناً، فسبحان الله!

3- تؤكد التجارب الجديدة أن المعلومات التي يختزنها القلب هي معلومات حقيقية صادقة، ولكن مركز الكذب يقع في أعلى ومقدمة الدماغ، وهكذا فإن الإنسان عندما يكذب بلسانه، فإنه يقول عكس ما يختزنه قلبه من معلومات، والغريب أن القرآن أشار إلى هذه الحقيقة الطبية بقوله تعالى عن المنافقين: (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) [الفتح: 11]. فاللسان هنا يتحرك بأمر من مقدمة الدماغ وهي الناصية، ولذلك وصف الله هذه الناصية بأنها: (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) [العلق: 16]، والسؤال: من الذي أخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم بأن القلب لا يختزن إلا المعلومات الصادقة وأن مركز الكذب يقع في الناصية؟ إنها معلومات طبية دقيقة جداً تشهد على صدق هذا النبي الكريم.

* **   * * * *   * **

4- يؤكد الباحثون في معهد الحساب العصبي أن أي إحساس يمر به الإنسان يولد تغيرات في وجهه ولكنها تمر سريعاً بحيث تصعب ملاحظتها، ولذلك فقد طور هؤلاء الباحثون برنامج كمبيوتر يحلل تغيرات الوجه بسرعة مذهلة ويرصد أي تغيرات مهما كانت صغيرة. ويقولون إن التعابير التي تظهر على الوجه في حالة الكذب تختلف عن تلك التعابير التي تظهر في حالة الغضب، وتلك التي تظهر في حالة الإحساس بالذنب وهكذا.

والنتيجة التي وصل إليها العلماء أن الأحاسيس التي يمر بها الإنسان تظهر على وجهه، ولذلك قال تعالى في حق أولئك الملحدين الذين يكذبون بالقرآن: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) [الحج: 72]. فقد ربط القرآن بين تعابير الوجه وبين ما يدور في دماغ هؤلاء من أحاسيس ومشاعر تجاه القرآن، والمعجزة هنا تتجلى في حديث القرآن عن انعكاس الكذب على تعابير الوجه، فسبحان الله!

* **   * * * *   * **

5- وجد العلماء حديثاً بعدما رصدوا حركة الدم في الخلايا العصبية للدماغ أن منطقة الناصية تنشط بشكل كبير أثناء الكذب، وأن عملية الكذب تتطلب إسرافاً في الطاقة، فالإنسان عندما يكون صادقاً لا يصرف أي طاقة تُذكر من دماغه، وعندما يكذب فإنه يصرف طاقة كبيرة بسبب هذا الكذب! وقد استخدم العلماء جهاز المسح المغنطيسي fMRI فوجدوا أن الإنسان لا يمكن أبداً أن يتحكم بدماغه، فعندما يريد أن يكذب فإن نشاطاً سوف يحدث

في دماغه ولا يمكن أن يوقف هذا النشاط. وسبحان الله! كل ما أمرنا به القرآن فيه الخير والنفع والفائدة، فقد أمرنا بالصدق، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119]، ويقول أيضاً: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) [محمد: 21]. أليس الإسلام ديناً رائعاً؟

6- قام العلماء حديثاً جداً بعدد من التجارب بهدف اختراع جهاز لكشف الكذب، وكان من نتائج هذه الدراسات أنهم اكتشفوا أن المنطقة المسؤولة عن الكذب عند الإنسان هي مقدمة الدماغ أي الناصية، وهذه المنطقة تنشط بشكل كبير أثناء الخطأ، ولذلك خرجوا بنتيجة وهي أن عمليات الكذب وعمليات الخطأ تتم في أعلى ومقدم الدماغ في منطقة اسمها (الناصية)، والعجيب أن القرآن تحدث عن وظيفة هذه الناصية قبل قرون طويلة! يقول تبارك وتعالى عن أبي جهل: (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) [العلق: 15-16]، فوصف الناصية بالكذب والخطأ وهذا ما يراه العلماء اليوم بأجهزة المسح بالرنين المغنطيسي، فسبحان الله الذي أودع في كتابه هذه الآيات لتكون دليلاً على إعجاز كتابه في هذا العصر!

* ** * * * * * **

7- هل يمكن للحيوانات أن تغش وتخدع وتكذب مثل عالم البشر؟ هذا ما كشفه آخر الأبحاث العلمية، فقد أكد باحثون بقسم الأحياء بجامعة بوتسدام الألمانية أن الكذب منتشر في عالم الحيوانات بدرجة كبيرة عكس الاعتقاد السائد، وقد توصل فريق الباحثين إلى أن الكذب لا يقتصر على البشر، و إنما يمتد ليشمل أيضا عالم الحيوانات والطيور!! وهنا نتذكر قول الحق تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [الأنعام: 38].

إن هذه الآية تخبر بأن عالم الحيوانات والطيور يشبه الإنسان، وقد ثبُت ذلك علمياً بما يشهد على إعجاز هذا الكتاب العظيم، فسبحان الله! [73].

* ** * * * * * **

73/ بقلم : عبد الدائم الكحيل – موقع موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة .

المحور الثالث

الإعجاز العلمي في شهادة المرأة

من الناحية العلمية هل هناك حكمة من جعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؟ ماذا كشف العلم الحديث؟ وهل الإسلام كرم المرأة أم انتقص من شأنها كما يدعي الملحدون؟...

حسب دراسة منشورة على موقع (NAMS) فإن ذاكرة المراة ليست ثابتة خلال العمر. فهي تنخفض بعد سن اليأس بشكل مفاجئ.. ولكن المرأة في منتصف العمر لها ذاكرة أفضل من الرجل ولكن بشكل يختلف عن الرجل.

وفي دراسة أخرى نشرت في مجلة JNeurosci تبين أن المرأة تتذكر الأشياء بطريقة تختلف عن الرجل. وتكون ذاكرتها العاطفية أكبر من الرجل.. أي تتأثر عاطفياً وبشكل كبير أثناء تذكر الحدث، فذاكرة المرأة أثناء الشهادة تعتمد على نوع التذكر.

إذاً شهادة المرأة في مسألة ما تخضع لعاطفتها تجاه تلك الحادثة وتتأثر بها.. وبعد سن اليأس تتشوش الذاكرة .. كل هذا يؤكد أن وجود امرأة أخرى أثناء الشهادة سيكون له أثر جيد على "جودة" الشهادة ودقة المعلومات التي ستقدمها.. لأن المرأة الثانية غالباً لن يكون لديها نفس المؤثرات العاطفية تجاه نفس الحدث.. وهذا يمكن للقاضي أن يجري تقاطعات بين شهادة المرأة الأولى وشهادة المرأة الثانية ليصل إلى الحقيقة.

جامعة بنسلفانيا قامت بدراسة كبرى على 949 دماغ رجل وامرأة.. ووجد الباحثون أن المرأة أفضل من الرجل في التفكير بمهام متعددة لأنها تستخدم كلا الجزأين من الدماغ.. أما القضايا التي تحتاج إلى تركيز على قضية واحدة فإن الرجل يتفوق على المرأة لأنه يستخدم جزءًا واحداً من الدماغ!

العلماء في كلية الطب بجامعة بنسلفانيا كانوا مندهشين من نتائج هذه الدراسة ويقول الدكتور Ruben Gur : إن النتائج كانت صادمة عندما رأينا هذه الاختلافات المدهشة بين دماغ الذكر والأنثى، ولكنهما متكاملين! ولكن الشيء المهم أن النساء لديهن قدرة أعلى من الرجال على المهام الاجتماعية.. بينما الرجل يتميز بقدرته الفائقة على الأعمال التي تتطلب تركيزاً محدداً مثل القيادة والتحكم.

نجد أن العلماء متفقون على أن الذكر ليس كالأنثى.. وقضية الشهادة هي قضية خطيرة تتعلق بمصير البشر ويمكن أن تؤدي الشهادة الخاطئة إلى إضرار بمصالح الناس.. وبما أن المرأة تستخدم عاطفتها أثناء التذكر، وبما أن المرأة تعاني من مشاكل في الذاكرة بعد سن اليأس مباشرة، وبما أن المرأة تستخدم نصفي دماغها في التذكر مما يعني قدرة أقل على التركيز.. من أجل كل هذا خفف الله عن المرأة أعباء الشهادة و أكرمها أن سمح لها بأن تستأنس بامرأة أخرى لإتمام الشهادة.. ولكي لا يتسلط الرجال عليها جعل هذا الأمر إجبارياً.. أي لا تقبل شهادة امرأة واحدة إلا في حالات خاصة مثل شهادة الزوجة على زوجها وحالات تتعلق بالعفة والشرف .

* **   * * * *   * **

فهل نقول بعد هذه الحقائق إن الإسلام اهان المرأة و انتقص من شأنها؟

لنسأل أي رجل يدعى للشهادة أمام المحكمة.. سيقول لك أتمنى لو أستأنس برجل آخر معي ليخفف عني أعباء الشهادة.. فكيف بالمرأة التي هي أضعف من الرجل و أكثر عاطفية منه..

ومن هنا ندرك عظمة قول الحق تبارك وتعالى: (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) [البقرة: 282].

الأعلى: الوصلات في دماغ الرجل حيث تمتد الوصلات من الأمام للخلف على طول الدماغ من دون أن يشارك نصفا الدماغ معاً بل الوصلات تمتد على طول الدماغ.

الأسفل: الوصلات في دماغ المرأة أعقد وتشترك فيها أجزاء أكثر من نصفي الدماغ لاحظ كيف تمتد الوصلات يميناً ويساراً بين نصفي الدماغ.

المادة البيضاء White Matter والمادة السنجابية Gray Matter تتوزعان بطريقة مختلفة تماماً في دماغ الذكر ودماغ الأنثى.. كأنهما متكاملان .. وهنا يحضرني قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [الأعراف: 189].

حسب دراسة جامعة بنسلفانيا فإن الاختلاف شديد الوضوح بين طريقة عمل كل من دماغ الرجل (الأزرق) حيث نلاحظ وكأن كل نصف من نصفي الدماغ يعمل على حده.. أما دماغ المرأة (الأحمر) والذي يربط نصفي الدماغ فمن الواضح أن نصفي الدماغ يعملان بالتنسيق معاً.

هذه النتيجة تؤكد أن الرجل لديه قدرة أكبر على التركيز في مسألة محددة، وموضوع الشهادة يتطلب قدرة على التركيز في قضية محددة.. بينما تبرع النساء في المهمات الاجتماعية المتعددة والذاكرة العامة واختراع الحلول المناسبة [74].

* **   * * * *   * **

74/ المرجع السابق.

المبحث الثالث

كيف نعظِّم القرآن الكريم ونحبه وعلامات المحبة الحقيقية

المطلب الأول : لمحة من تعظيم المسلمين للقرآن والدليل على وجوب تعظيمه ومحبته .

المحور الأول : لمحة من تعظيم المسلمين للقرآن العظيم وحبهم له .

المحور الثاني : الأدلة على وجوب تعظيم القرآن العظيم ومحبته .

المطلب الثاني : العلامات الحقيقية على تعظيم للقرآن الكريم ومحبته .

المطلب الأول

لمحة عن تعظيم المسلمين للقرآن والدليل على وجوب تعظيمه

الموضوع الذي نود أن تدارسه مع القارئ الكريم هو معرفة وجوب تعظيم القرآن الكريم وهو تعظيم بالقلب وباللسان وبالجوارح ولكي أصل إلى هذه الحقيقة جاء الكلام في محورين :

المحور الأول : لمحة عن تعظيم المسلمين للقرآن العظيم :

لتوضيح هذه الحقيقة أطرح سؤالا ملحا ألا وهو : ما هي المنزلة التي تجب أن تكون للقرآن في قلوبنا؟ عندما يُقرأ هذا السؤال سيبادر أحد القراء بجواب المستعجِل : لا شك أن القرآن له منزلة عظيمة في قلب كل مسلم ولا شيء **أحب** إلى المسلم من كتاب الله تعالى ، كيف لا ؟ ونحن نعلم ذلك الكم الهائل من الفضائل آنفة الذكر.

أقول له : **لا تستعجل ودعنا نتحقق من هذا الكلام وذلك بالنظر إلى و اقعنا مع القرآن الكريم مع مقارنة هذا الو اقع بحال المسلمين - السابقين - مع القرآن إلى عصر قريب .**

فأما حال المسلمين مع القرآن إلى وقت قريب : فقد كانت الكتاتيب - جمع الكُتَّاب كما تسمى في مصر أو ما يُعرف بـ(الملالي) في العراق أو بالخلاوى في السودان - قائمة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية وفي البلاد العربية كافة حتى أواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، رغم ما طرأ عليها من تحوير وتطوير على نظام العمل فيها، إذ كانتْ الكتاتيب بصورة عامة ملحقة بالمساجد والجوامع أو مستقلة عنها في مباني مشيدة لهذا الغرض .

كانت الغاية الأساس من تأسيس تلك الكتاتيب في البلاد هو تحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتلقينهم أصول الدين وأحكامه . فكان الطفل بعد إتمامه الثالثة أو الرابعة من عمره يدخله أبوه الكُتَّاب ليتعلم ما أشرنا إليه .

كما أنها كانت قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا - وكما قيل

التعليم في الصغر كالنقش في الحجر - في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف [75].

* **   * * * *   * **

وقد تميز التعليم في الكُتَّاب بالاهتمام بالآداب الاجتماعية حيث (يقوم المعلم بتأديب الأطفال وتربيتهم التربية الصالحة وتعويدهم العادات الحسنة، وتعليمهم كيفية احترام الناس ومراعاة الذوق والأدب طبقاً للعرف الجاري، وأن يلقي السلام على مَنْ يدخل عليهم أويمربهم مِن الناس، ويأمرهم ببر الوالدين، والانقياد لأمرهما بالسمع والطاعة، والسلام عليهما وتقبيل أياديهما عند الدخول إليهما، ويضرب المعلم طلابه على إساءة الأدب والفحش في الكلام وغيرذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع) [76].

وهذا التعامل مع القرآن لم يكن في الدولة العثمانية بل كان ذلك على مر العصور في حياة المسلمين ، والدليل على ذلك ما قاله ابن خلدون رحمه الله تعالى : اعلم أنَّ تعليمَ الولدان للقُرآن شِعار الدِّين، أخَذ به أهل الملّة ودرَجُوا عليه في جميع أمصارهم؛ لِما يَسبقُ فيه إلى القُلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، وصار القُرآن أصلَ التعليم الذي ينبَنِي عليه ما يحصلُ بعدُ من الملكات، ا.هـ .

وقال أبو الفضل الرازي رحمه الله تعالى : وعلى الحِفظ والتحفُّظ كان الصدر الأوَّل ومَنْ بعدهم، فلم يكن الفُقَهاء منهم ولا المحدِّثون والوعَّاظ يتخلَّفون عن حِفظ القُرآن الكريم والاجتهاد على استِظهاره، إلى أنْ خلفهم الخلفُ الذين فاتَهُم من طراوتهم وحَداثتهم طلبُ حفظِ القُرآن الكريم وفي أوانه، ولَحِقَهم العجزُ والبَلادةُ على سنِّهم.

وقال الزركشي رحمه الله تعالى : قال أصحابنا : تعلُّم القُرآن فرضُ كفاية، وكذلك حِفظه واجبٌ على الأمَّة ا.هـ.

75/ مقال : من تاريخ التعليم قبل ظهور المدارس الحديثة.. التعليم الشعبي (الكتاتيب) نقلا عن كتاب جذور التعليم الأهلي في العراق حتى عام 1914 - للدكتوروسام هادي عكارومقال الكتاتيب عند المسلمين - الشبكة الإسلامية – (بتصرف) .

76/ معالم القربة في أحكام الحسبة – تأليف محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ضياء الدين (المتوفى: 729هـ) - ص 261 . نقلاً عن الشبكة الإسلامية - بتصرف .

* **   * * * *   * **

أما عن و اقعنا مع القرآن فهو معروف ولا يحتاج إلى طويل شرح ولكن دعني أسألك سؤالا :

عندما يصل الصبي في الأسرة المسلمة إلى سن القراءة في عالمنا العربي فكم أب يبدأ مع ولده بتعليمه قراءة القرآن فضلا عن حفظه مجوَّدا ؟ .

كم هي نسبة أولياء الأمور الذين يحملون همّ هذا النوع مِن التعليم لأولادهم وبناتهم .. نسبة مخجلة لا تكاد تُذكر.

قارن هذا الهمّ المتعلق بالقرآن بالهمّ المتعلق بالدراسة المدرسية وقد يزيد البعض عليها همّ دراسة اللغة الإنجليزية، وربما قبل تعليمه اللغة العربية التي هي لغة القرآن الذي يدعي حبه وتعظيمه [77].

ثم ارجع إلى ما ذكرتُه لك من حال المسلمين مع القرآن الكريم قبل قليل، حيث تم - في عصرنا – إشغال عقل الطفل بحكايات كثيرة وأناشيد وأغاني أو حتى لغة أجنبية أخرى كما يحدث الآن فيؤدي إلى تشتيت الطفل وإحداث خلل في منظومته العلمية والثقافية، ولذا كان للكتاتيب دور حيوي وهام في التواصل مع الأزهر الشريف وإمداده بالأطفال الحافظين وتخريج علماء ودعاة وفقهاء نشروا العلوم الشرعية وأسسوا الجامعات الإسلامية في مختلف البلدان العربية والإسلامية.

ثم تأمل في حال الصبية الذين حفظوا القرآن في المجتمعات العربية ، يا ترى هل الواحد منهم سيحظى بمكانة عالية في أعينهم أو منزلة عظيمة في قلوبهم ،، قد يقال هذا بالألسن ، ولكن لو جئت للناحية العملية وسألت أحدهم لماذا لا تريد أن يكون ولدك حافظا للقرآن مثل ولد فلان ؟ .

77/ لا شك أن هناك عددا كبيرا من أولياء الأموريهتمون بحفظ القرآن وتعليمه لأبنائهم ،، ولكن كم نسبة هؤلاء بجانب الذين لا يفكرون مجرد تفكير في إعطاء القرآن جزءا من وقتهم للنظر فيه فضلا عن تعليمه لأولادهم وكأنّ القرآن نزل لغيرهم ،، للأسف الشديد هؤلاء هم الكثرة الغالبة بين المسلمين، نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم .

أما المؤدَّب منهم فسيلوذ بالصمت **وأما الجرئ** فسيقول لك تريدني أن أضيع مستقبل ولدي .. إذن هو يعتقد أن القرآن - الذي يدعي محبته وتعظيمه - سيكون سببا في ضياع مستقبل أولاده وبناته؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* **   * * * *   * **

هل تدري ما معنى هذا الكلام ؟ إنه يعني أن القرآن العظيم هو السبب في ضياع الأمة وإلا فلو اتحدت نظرتنا في كون القرآن سببا في ضياع مستقبل أولادنا وامتنعنا عن تحفيظهم إياه - نعوذ بالله من ذلك - إذن فمتى يُفهم القرآن ومتى يُتدبر ومتى يكون هو سر نهضتنا[78].

78/ واسمح لي أيها القارئ الكريم أن أذكرلك سبب إلغاء تحفيظ القرآن الكريم كمقرر واجب على الطفل المسلم قبل المدرسة وتحويله إلى أمر اختياري - وربما تركه أفضل لدى البعض – يقول الأستاذ رياض فالحي : الطفل الغربي حصيلته اللغوية 16000 كلمة وهو في عمر ثلاث سنوات في حين أن الطفل العربي محصور في اللغة العامية وهي لغة الأم في البيت والعامية للأسف الشديد محدودة ومحصلتها 3000 كلمة فقط يتعلمها الطفل أي أن الفارق بين حصيلة الطفل الغربي والطفل العربي 13000 كلمة لصالح الطفل الغربي . وبالتالي يصبح عقل الطفل العربي يعيش في حدود ضيقة جدا من التحصيل اللغوي وهذه معلومات مفزعة وخطيرة ومعناها أن الأمة ضائعة أو تكاد .

في كتاب" الإسلام الثوري " لجيسين يقول gason : أن الإنجليز والفرنسيين عندما أنهارت دولة الخلافة وورثوها كمحتلين قاموا مشتركين بعمل دراسة عن سبب قوة الإنسان أو الفرد المسلم والتي أدت هذه القوة الجبارة إلى أن المسلمين غزوا العالم من المحيط الأطلنطي إلى فيينا وضواحي باريس إلى الهند وأدغال أفريقيا .فوجدوا أن الطفل المسلم من عمر 3 سنوات إلى 6 سنوات يذهب إلى الكتَّاب ويحفظ القرآن وبعد أن يحفظ القرآن من 6 : 7 سنوات يدرس ألفية ابن مالك -وهي 1000 بيت شعر - والتي بها كل قواعد اللغة العربية الفصحى .

إذاً الآن لدينا طفل عمره 7 سنوات وهذه محصلته اللغوية فهو طفل ليس عادياً بالنسبة للطفل الغربي بل هو طفل سوبر جبار العقل والذكاء حيث أن عدد كلمات القرآن حسب تفسير ابن كثير هي سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة .فخلص الإنجليز والفرنسيين من هذه الدراسة المشتركة أن سبب قوة الفرد المسلم الجبارة هي القرآن وكتاتيب تحفيظ القرآن .فقامت فرنسا بإلغاء الكتاتيب في أفريقيا وجميع المدارس التي تحت سيطرتها مثل لبنان وسوريا وإن بقى بعض الكتاتيب في سوريا قاومت به المحتل لمدارسها.

أما الإنجليز فقالوا شيئا مختلفا وهو أن المصريين هم من اخترعوا الدين من قبل الميلاد وإن قلنا لهم أننا سنلغي الكتَّاب وتحفيظ القرآن فلن نستطيع الوقوف أمامهم وبالتالي سنقوم بالقضاء على القرآن بسوء السمعة فقاموا بعمل مدارس أجنبية لأولاد الأغنياء لكن لن يتم فيه تدريس المنهج الإنجليزي بل يجب أن يكون أضعف بكثير لتكون لغة الأسياد للأسياد فقط ، وحتى لا يستطيع الطفل العربي التوغل في العلوم والمعرفة بسبب ضعف تحصيله للغة بريطانيا والغرب وبعد ذلك أنشأوا المدارس الحديثة وكان عمر الطفل بها من 6 سنوات وبالتالي ضاعت من الطفل أهم فترة تحصيل في حياته وهي من تاريخ ولادته إلى 7 سنوات تقريبا وبالتالي نجح الإنجليز في ضياع فترة تحصيل الطفل العربي اللغوية وعندما يذهب الطفل

معنى هذا الكلام أن الأمة الإسلامية ستتعاقب عليها أجيال لا تحب القرآ ن ولا تسعى لتطبيقه ولا التأدب بآدابه ولا التخلُّق بأخلاقه.. كيف لا يكون ذلك وهم يجهلون قراءته فضلا عن فهمه وتدبره .فأين إذن ما ندعيه من حب وتعظيم للقرآن الكريم.

أخي الحبيب : لتعلم أن الأمة في حاجة إلى أن تعرف عظمة القرآن وتتعلم من جديد كيف تعظِّمه وتنزله المنزلة اللائقة به في القلوب وتسيير الحياة على وفق أوامره ونواهيه وأخلاقه آدابه وقوانينه القضائية والجنائية .

*** **** ***

المحور الثاني : الأدلة على وجوب تعظيم القرآن العظيم ومحبته :

بعد أن بينا كيف عظم المسلمون القرآن وأحبوه عبر التاريخ ثم تراجع ذلك الحب والتعظيم في عصرنا هذا الآن نريد ان نشير إشارة طفيفة إلى وجوب تعظيم القرآن ومحبته :

فأقول : حضرتُ قبل سنوات حفل تخريج لمجموعة من الحفظة الجدد وكان من بين المتكلمين أحد الدعاة فقال في استفتاح كلمته(بالمعنى) : قد يقول لك صبي : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك شاب فقير : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك شاب غني : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك وزير : اشتريتُ سيارة .

هؤلاء الأربعة قالوا نفس الجملة ولكن هل ما يُفهم منها معنىً واحداً أم أنه يختلف باختلاف القائل .. من الواضح أن الصبي يعني بقوله : اشتريت سيارة أنها سيارة ليلعب بها لا ليركبها (وقد تكون دون ريموت) بينما الشاب الفقير قد اشترى سيارة لا تسوى العشرة ألف ريال بينما الشاب الغني قد اشترى سيارة تزيد على السبعين ألف ريال وأما الوزير فسيارته لها شأن آخر...ففهمنا من هذا المثال

للمدرسة في عمر 6 سنوات سيجد كلمات باللغة العربية الفصحى وهذا غير ما تعلمه في البيت من كلمات عامية مختلفة تماما عن المدرسة فيجد الطفل نفسه واللغة العربية بالنسبة له عبارة عن لغة غريبة عليه وصعبة التحصيل ويبدأ مرحلة بغض لغته من الصغر.وبالتالي لن يتحدث اللغة العربية بطلاقة وضاعت منه أكثر من 77000 كلمة لغوية في عمر مبكر جدا ..فهل علمتم يا سادة لماذا نحن أمة ضائعة ومهزومة ومتخلفة عن الحضارة ؟أما وقد علمتم فماذا أنتم فاعلون ؟!!!!..(مقال لهذا منعوا كتاتيب تحفيظ القرآن في الدول الإسلامية - المصدر العلمي : د.سهير السكري - ملاحق جريدة المدى اليومية) .

أن الكلام على قدر المتكلم به فانظر عندما أقول لك : قال الله تعالى في كتابه العظيم آية كذا الدين مثلا في سورة البقرة .

* **   * * * *   * **

قلت : على ضوء كلام هذا الداعية الموفق فلا يجوز لنا حمل ما قاله الوزير على ما أراده الصبي وإلا نكون قد استهزأنا به ولم نحترمه كما يجب ،، ومن هنا وجب تعظيم كلام الله تعالى وذلك لعظمته سبحانه وجلاله وكبريائه[79].

فلا أحد ينازع في أن الكلام يشرُف بشرف قائله، فكلما كان القائلُ عظيم القدر كانت كلماته كذلك، ولذا قيل في منثور الأدب: كلامُ الملوك ملوكُ الكلام، فإن كان هذا في حق البشر (ولله المثل الأعلى) فكيف بكلام خالق البشر؟ وإن تعظيم القرآن من تعظيم الله تعالى؛ فمن كان يرجو لله وقارًا عظم كتابه وأجلّه ومجّده.ولقد كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يأخذ المصحف فيضعه في وجهه ويقبله ويبكي ويقول: (كلام ربي كلام ربي)[المعجم الكبير للطبراني (1018)][80].

79/ نقلا عن رسالتي : ماذا تنوي عندما تتلو آيات الذكر الحكيم ؟ - ص (12) . (منشورة في موقع صيد الفوائد).

80/ ومن مظاهر تعظيم كتاب الله تعالى ومن مظاهر تعظيم كتاب الله تعالى :

1- تعاهده: بالحفظ والتلاوة، والفهم والعمل.

2- إكرام أهله وحملته، وقرَّائه وحفظته.

3- يجب أن نصونه عن النجاسات، والقاذورات.

4- لا يجوز مسُّ المصحف الشريف إلَّا على طهارة من الحدث الأصغر بالوضوء ، وطهارة من الحدث الأكبر وهو الجنابة، والحيض، والنفاس بالغسل الشرعي المعروف ولا يكفي الاستحمام بالصابون .

5- لا يجوز أن ندخل به الخلاء، ولا أن نتوسَّده.

6- لا يجوز: الضحك، واللغط، والحديث أثناء استماع القرآن الكريم.

7- لا يجوز أن يُعطي للأطفال الصغار (غير المميزين)؛ صيانة لحرمته.

8- لا يجوز أن يسافَر بالمصحف الشريف إلى أرض العدُوِّ (إن خيف وقوعه في أيديهم؛ لئلا يتمكنوا من إهانته) .

9- لا يجوز: بيعه أو إهداؤه أو إعارته لغير المسلم، ولو كان هذا المصحف أثريًّا، وتزداد الحُرْمة شدَّةً عندما يكون هذا الكافر: حاقدًا، متعصِّبًا لباطله، ولا يتورَّع عن مهاجمة: الإسلام، والقرآن، ورسولنا عليه الصلاة والسلام.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والآثار على وجوب تعظيم كلام الله تعالى :

أولاً : يقول الله تعالى:{**ذلك وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**} سورة الحج الآية 32.
ويقول تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} سورة الحج (30)

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ} الشعائر جمع شعيرة،وهو كل شيءٍ لله تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم...فشعائر الله أعلام دينه. وإنَّ تعظيمَ كلامِ الله تعظيمٌ لله تعالى.

وعنوانُ الشعائر الإلهيّة هو القرآنُ العظيم الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خلفه. هو عظيمٌ عندَ الله، وهو في اللوحِ المحفوظ، **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}**[الزخرف:4].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : بيَّن شرَفَه في الملأ الأعلَى ليشرِّفَه ويُعظِّمَه ويطيعَه أهلُ الأرضِ .

والقرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، وقد أمرنا الله تعالى بالتمسك به، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**) الأعراف(170) .

وتوعد الله تعالى المعرضين عن القرآن بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**) طه (124-126) .

ثانياً : قال العلماء : إن تعظيمَ كتابَ الله عزَّ وجلَّ أمرٌ واجبٌ شرعاً في حق كل مسلمٍ، ومَنْ وقَّرَ القرآنَ الكريم فقد وقَّر الله سبحانه وتعالى، ومَنْ استخفَّ بالقرآن فقد استخفَّ بالله عز وجل، وقد أجمعت الأمةُ المسلمةُ على وجوب تعظيم القرآن الكريم، ووجوب تنزيهه وصيانته عن الامتهان والابتذال والعبث.

10- لا ينبغي أن تمد الأقدام باتجاهه مطلقًا فاحذروا.

11- لا ينبغي أن يكون أدنى من الرجلين عند القراءة مطلقًا؛ بل يحمل باليدين، أو يُوضع على كرسي خاص.

12- لا ينبغي أن تُوضَع فوقه كتب أو أي شيء آخر مطلقًا . (نقلا عن مقال : آداب تلاوة القرآن الكريم – لنجلاء جيروني – موع شبكة الألوكة الشرعية) .

قال النوويّ رحمه الله : أجمع المسلِمون على وجوبِ تعظيمِ القرآنِ العزيزِ على الإطلاقِ وتنزيهِه وصِيانتِهْ.

وقال القاضي عياض رحمه الله: "من استخفَّ بالقرآن أو بالمصحَف أو بِشيءٍ منه فهو كافِرٌ بإجماعِ المسلِمين "[81].

ويعظم كتابُ اللهِ بحُسنِ التلاوة، وتصديقِ الأخبارِ، وامتثال الأوامِر، واجتِنابِ النّواهي، وبما شرَعَ الله لكم أن تعَظِّموه به [82].

وهذا أبو العالية رحمه الله إذا قرأ القرآن اعتمَّ ولبِس رداءه، واستقبل القبلة، وكان يكره أن يُقال: سورة صغيرة؛ لأن القرآن كله عظيم ولا صغير فيه.

ولما رأى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ابنًا له يكتب القرآن على حائط ضربه؛ لأن هذا ليس من التعظيم.

وقال مجاهد رحمه الله : **إذا تثاءبتَ و أنت تقرأ القرآن، فأمسكْ عن القرآن العظيم حتى يذهب تثاؤبك.**

فائدة مهمة : وجوب تعظيم المصحف الشريف : اتفق أهل العلم على أن المسلمَ إذا أهان مصحفاً متعمِّداً مختاراً يكون مرتداً ويقام عليه حدُّ الرّدّة [83].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وقد اتفق المسلمون على أن من استخفَّ بالمصحف، مثل أن يُلقيه في الحَشِّ- محل قضاء الحاجة- أو يركضه برجله إهانةً له، أنه كافرٌ مباحَ الدم[84].

وقال القاضي عياض رحمه الله : واعلم أن من استخفَّ بالقرآن أو المصحف، أو بشيءٍ منه، أو سبَّهما، أو جحده أو حرفاً منه أو آيةً، أو كذَّب به، أو بشيءٍ منه، أو كذَّب بشيءٍ مما صرح به فيه من حكمٍ أو خبرٍ، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علمٍ منه بذلك، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك،

81/ التبيان في مآداب حلة القرآن - للنووي - ص (154).

82/ تعظيم القرآن المجيد - من خطبة للشيخ الثبيتي - بتصرف يسير – إسلام ويب .

83/ الموسوعة الفقهية الكويتية 13/38.

84/ مجموع الفتاوى (425/8).

فهو كافرٌ عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} سورة فصلت (41-42) [85].

وقرر الإمام النووي أن الاستخفافَ بالمصحف يعتبر من الأفعال الموجبة للكفر، والتي تصدر عن تعمدٍ واستهزاءٍ صريحٍ بالدِّين حيث قال:[والأفعالُ الموجبةُ للكفر هي التي تصدر عن تعمدٍ واستهزاءٍ بالدِّين صريحٍ، كالسجود للصنم أو للشمس، وإلقاء المصحف في القاذورات [86].

فإذا تقرر وجوب تعظيم المصحف وأن رميه في القاذورات وحاويات القمامة كفرٌ مخرجٌ من الملة، فيجبُ الانتباهُ إلى الفرق بين كون الشيء كفراً وتكفير الشخص الذي حصل منه ذلك بعينه، فلا نستطيع أن نحكم بكفر كل إنسان إذا صدر منه ما يحكم العلماء أنه كفرٌ، لأن تكفير المعين يحتاج إلى معرفة أن موانع التكفير منتفيةٌ عن هذا الشخص المعين،وقد ذكر أهل العلم أن موانعَ التكفير هي: الخطأُ والجهلُ والعجزُ والإكراهُ [87].

* **   * * * *   * **

85/ الشفا في معرفة حقوق المصطفى – للقاضي عياض - 304/2.

86/ روضة الطالبين – للنووي - (64/10) .

87/ قال الشيخ العلامة محمد العثيمين : للحكم بتكفير المسلم شرطان:

أحدهما:أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر.

الثاني:إنطباق الحكم على من فعل ذلك،بحيث يكون عالماً بذلك قاصداً له،فإن كان جاهلاً لم يكفر،لقوله تعالى:{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}سورة النساء الآية 115.وقوله تعالى :{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}سورة التوبة الآية 115.وقوله تعالى :{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} سورة الإسراء الآية 15.لكن إن فرَّط بترك التعلم والتبين لم يُعذر،مثل أن يبلغه أن عمله هذا كفرٌ،فلا يتثبت ولا يبحث، فإنه لا يكون معذوراً حينئذٍ.

وإن كان غير قاصدٍ لعملِ ما يُكفر لم يكفر بذلك،مثل أن يُكرَه على الكفر وقلبهُ مطمئنٌ بالإيمان، ومثل أن ينغلق فكرهُ فلا يدري ما يقول لشدة فرحٍ ونحوه، كقول صاحب البعير الذي أضلها ثم اضطجع تحت شجرةٍ ينتظر الموتَ،فإذا بخطامها متعلقاً بالشجرة فأخذه فقال:"اللهم أنت عبدي و أنا ربك" أخطأ من شدة الفرح] فتاوى العقيدة ص263-264.

المطلب الثاني

العلامات الحقيقية على تعظيم للقرآن الكريم ومحبته

لا يخفى على أحدٍ منَّا أنَّ القلب إذا أحبَّ شيئًا تعلَّق به، واشتاقَ إليه اشتِياقًا عظيمًا، وشغف به، وانقطَع عمَّا سِواه، والمسلم إذا أحبَّ القرآن لهج لسانه بكثرة قِراءته، واجتمع على فهمه ووعيه؛ وتلذَّذ القلب بتدبره ، فيحصل بذلك التدبُّر المكين والفهم العميق، وإذا لم يُوجَد الحبُّ فإنَّ إقبال القلب على القُرآن يكون صعبًا، وانقيادُه إليه يكون شاقًّا، لا يحصل إلاَّ بمجاهدة ومغالبة؛ ولهذا قال أبو عُبَيد رحمه الله تعالى : (لا يسأل عبدٌ عن نفسه إلاَّ بالقرآن؛ فإن كان يحبُّ القُرآن فإنَّه يحب الله ورسوله) .[88]

إنَّ العبد إذا تعلَّق قلبُه بكتاب ربه، فتيقَّن أنَّ نجاحه ونجاته وسعادته وقوَّته في قراءته وتدبُّره، تكون هذه البداية للانطلاق في مَراقِي النجاح، وسُلَّم الفلاح في الدنيا والآخرة.

فأرجو منك أنْ تَفتَح لذه العلامات قلبك، ونفسك وبيتك؛ حيث أدعوك لأنْ تجعل القرآن رفيقَك في حياتك، ففيه النور والخير والبركة، فلا تنام حتى تَقرَأ وِردَك القُرآني، وتخيَّل لو استمررت على هذا المِنوال متدبِّرًا وخاشعًا وداعيًا اللهَ كلَّ يوم، كيف تصير حياتُك؟ وكيف تَصِير أسرتك؟ وكيف يَصِير بيتك؟ ألا يكثر فيه الخير ويذهب الشقاق والنِّزاع، ويحل محلهما التفاهُم والتوادُّ بين أفراد أسرتك، ويبارك الله في رزقك وصحَّتك؟ .[89]

فمن علامات المحبة الحقيقية للقرآن الكريم وتعظيمه :[90]

أولًا: قراءته والتلذذ به والمجالسة فيه :

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر:17]، وقال الله سبحانه آمرًا: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل من الآية:4]، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: (وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ، يَتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويَتدارسونَهُ بينَهُم، إلَّا حفَّتهمُ الملائِكَةُ، ونزَلت عليهمُ

88/ مصنف ابن أبي شيبة - (10/ 485) .

89/ كيف تحب القرآن وتحيا به؟ - للكاتب الدكتور. بن يحي الطاهر ناعوس – موقع الألوكة الشرعية – بتصرف .

90/ مقال : هكذا تكون محبة القرآن الكريم - عادل عبد الله هندي - طريق الإسلام .

السَّكينةُ، وغشيتهمُ الرَّحمةُ، وذَكَرَهُمُ اللَّهُ فيمن عندَهُ، ومن أبطأَ بِهِ عملُهُ لم يُسرِعْ بِهِ نسبُهُ) [91]
؛ وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل ليدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم.

ثانيًا: حفظه وتعلمه وتعليمه :

وليس أدل على فضل هذه العلامة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**) رواه البخاري ، فأفضل الناس والمحبون الحقيقيون للقرآن هم أكثر الناس علمًا بالقرآن وأكثرهم تعليمًا لغيرهم له.

ولذا فالمطلوب من حملته تعاهده وقراءته ومراجعته كثيرًا حتى لا ينفلت منهم. ويكفيهم شرفًا أنهم أهل الله وخاصته.

ثالثًا: تدبر آياته، والفرح بلقائه، والسرورلسماعه، والإنصات عنده :

وتلك كلها حقوق عملية وواقعية، قال الله تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [محمد:24].

قال السعدي رحمه الله تعالى : : **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)** أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

(أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع.

* **   * * * *   * **

91/ صحيح ابن ماجه .

رابعًا: تحسين الصوت بقراءته :

هكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئي القرآن؛ حيث قال: (زيّنوا القرآنَ بأصواتِكم ، فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآنَ حُسنًا) [92]وقال أيضًا: (ليسَ مِنَّا مَن لَم يتغنَّ بالقُرآنِ) رواه البخاري.

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه يشهد له النبي صلى الله عليه وسلم لصوته الحسَن: (يا أبا موسى، لقد أوتيتَ مِزمارًا مِن مزاميرِ آلِ داودَ) رواه البخاري ، وذلك لحسن صوته عند قراءة القرآن الكريم.

* **   * * * *   * **

خامساً : العمل بما فيه وتطبيقه والتخلق بأخلاقه :

لا شك أن من أهم حقوق القرآن الكريم أن نعمل بآياته وأحكامه، ولذلك كان رسولنا صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن الكريم كما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها فأجابت بذلك.

أما الذي لا يعمل بالقرآن فقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم تُثلَغُ رأسه، يعني تشق بالحجر لأنه لا يعمل بما في القرآن الكريم، وهذا الحق للأفراد والحكومات والمجتمعات.

فأي وطن أو بلد يقول أنا مسلم ودستورنا القرآن ولا يعمل به فهو كاذب، ولكن على مَنْ يكذب؟! إنه يكذب على نفسه ... فالله الله في التخلق بأخلاق القرآن في كل شأن من شئون الحياة.

قال رجل لأبي جعفر القارئ: (هنيئًا لك ما أتاك الله من القرآن)، قال:**(هذا إن أحللت حلاله، وحرمت حرامه).**

ولذا فإنا نحلم بيوم يدخل القرآن فيه إلى حياتنا ليصلحها في علاقة الزوج بزوجته والعكس، وعلاقة الآباء بالأبناء والعكس، وعلاقة الحاكم بالمحكومين والعكس كذلك.

92/ أخرجه البخاري معلقاً قبل حديث (7544)، وأخرجه موصولاً أبو داود (1468)، والنسائي (1015)، و ابن ماجه (1342)، وأحمد (18517) مختصرا، والحاكم (2125) واللفظ له. وقال الألباني في أصل صفة الصلاة(570/2): إسناده صحيح (نقلا عن الدرر السنية) .

سادسًا :الدفاع عن القرآن الكريم ضد مطاعن العلمانيين والملحدين والمستشرقين التي يبثونها حول آياته وأحكامه وحدوده، وذلك شأن أهل التخصص.

سابعًا: تعليم أبنائنا القرآن وزراعة حبه في قلوبهم[93]: وذلك بالآتي:

93/ لماذا نحبب أبناءنا في القرآن: هناك أسباب تدعونا إلى أن نحبب القرآن إلى أبنائنا، وهذه الأسباب كثيرة، ولعل من أهمها ما يلي:

1- أن القرآن هو عقل المؤمن، ودستور حياته، فهو كلام الله تعالى الذي تولى حفظه دون سائر ما نزل من كتب سماوية؛ لذا فإن أبناءنا إذا أحبوه تمسكوا بتعاليمه، ومن ثَم لم يضلوا أبدًا.

2- أن القرآن هو خير ما يثبِّت في النفس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وإذا ارتبط قلب الطفل بالقرآن وفتح عينيه على آياته؛ فإنه لن يعرف مبدأً يعتقده سوى القرآن، ولن يعرف ما يستقي منه دينه غير القرآن، ولن يعرف بلسمًا لروحه وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن، وعندئذٍ يصل الوالدان إلى غايتهما المرجوَّة في تكوين الطفل روحيًّا، وإعداده إيمانيًّا وخُلقيًّا.

3- لأن القرآن هو الرسالة الإلهية الخالدة، ومستودع الفكر والوعي، ومنهج الاستقامة والهداية، ومقياس النقاء والأصالة، فإذا أحبه الطفل كان ذلك ضمانًا لهدايته واستقامته وسَعة أُفُقه، ونقاء سريرته، وغزارة علمه.

4- لأن القرآن إذا تبوأ مكانة عظيمة في نفوس أبنائنا شبوا على ذلك، ولعل منهم من يصبح قاضيًا، أو وزيرًا، أو رئيسًا، فيجعل الله تعالى القرآن العظيم له دستورًا ومنهاجًا، بعد أن ترسخ حبه في نفسه منذ الصغر.

5- لأن حب الطفل للقرآن يُعينه على حفظه، ولعل هذا يحفظ الطفل، ليس فقط من شرور الدنيا والآخرة، وإنما أيضًا من بذاءات اللسان، ففَمٌ ينطق بكلام الله ويحفظه يأنف ويستنكف عن أن ينطق بالشتائم والغِيبة والكذب وسائر آفات اللسان.

6- لأن أبناءنا أمانة في أعناقنا، وسوف نُسأل عنهم يوم القيامة، و«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»(أخرجه أبو داود)؛ فالضياع قد يكون أخلاقيًّا، وقد يكون دينيًّا، وقد يكون نفسيًّا، وقد يكون ماديًّا، كفانا الله وإياكم شر تضييع أبنائنا، ولن نجد أكثر أمانًا من القرآن نبثُّه في عقول وأرواح أطفالنا؛ حفظًا لهم من كل أنواع الضياع.

7- لأن ذاكرة الطفل صفحة بيضاء، فإذا لم نملأها بالمفيد، فإنها ستمتلئ بما هو موجود! فإذا أحب الطفل القرآن أصبح فهمه يسيرًا عليه؛ مما يولد لديه ذخيرة من المفاهيم والمعلومات التي تمكنه من غربلة وتنقية الأفكار الهدامة، التي تغزو فكره من كل مكان.

8- لأننا مُقبِلون، أو أَقبَلنا بالفعل، على الزمن الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أن فيه: «تلد الأَمَة ربتها»(أخرجه مسلم)؛ أي: تتعامل الابنة مع أمها وكأنها هي الأم، فلعل حب القرآن في قلوب الأبناء يخفِّف من حدَّة عقوقهم لوالديهم في ذلك الزمان.

9- لأن أطفالنا إذا أحبوا القرآن وفهموه، ثم عملوا به وتسببوا في أن يحبه غيرهم، كان ذلك صدقة جارية في ميزان حسنات الوالدين إلى يوم الدين، يوم يكون الإنسان في أمسِّ الحاجة لحسنة واحدة تثقل ميزانه.

- على الأم أن تسمعه القرآن الكريم وهي حامل : وأن تسمعه القرآن وهي ترضعيه فالجنين يتأثر نفسيا وروحيا بحالة الام وما يحيط بها اثناء الحمل فاذا ما داومت الحامل على الاستماع للقران فانها ستحس براحة نفسية ولا شك وهذه الراحة ستنعكس ايجابا على حالة الجنين. لان للقران تأثيرا روحيا على سامعه وهذا التأثير يمتد حتى لمن لا يعرف العربية فضلا عن من يتقنها.

- اجعل لولدك مصحفًا خاصًا به : لأن اهداءك مصحفا خاصا لطفلك يلاقي تجاوبا مع حب التملك لديه. وان كانت هذه الغريزة تظهر جليا مع علاقة الطفل بألعابه فهي ايضا موجودة مع ما تهديه اياه. اجعليه اذا مرتبطا بالمصحف الخاص به يقرأه و يقلبه متى شاء.

- اقرأ أمامه القرآن الكريم وصلِّ به : وتلكم قدوة وأسوة عملية، وهي من أعظم الأسباب التي تشجعه على حب القرآن وحفظه ، أما الولد الذي يرى أباه يفتح المصحف فلن يفكر في حفظه تأسيا به .

- حكاية قصص القرآن الكريم للأبناء : يحب الطفل القصص بشكل كبير فقصي عليه قصص القرآن بمفردات واسلوب يتناسب مع فهم ومدركات الطفل. وينبغي ان يقتصر القصص على ما ورد في النص القرآني ليرتبط الطفل بالقرآن ولتكن ختام القصة قراءة لنص القرآن ليتم الارتباط ولتنمي مفردات الطفل خصوصا المفردات القرآنية.

- السماع لقراءته من ولدك ومكافأته على ذلك: لأن الاستماع منه ينقله من مرحلة الحفظ الى مرحلة الفهم ونقل الفكرة ولذلك فهو سيحاول فهم القصة اكثر ليشرحها لغيره اضافة الى ان هذه الفكرة تكسبه ثقة بنفسه فعليك بالانصات له وعدم اهماله او التغافل عنه..

- اربط له عناصر البيئة بآيات القران ؛من هذه المفردات: الماء ، السماء، الارض ،الشمس ، القمر، الليل، النهار، النخل، العنب، العنكبوت، وغيرها.

10- لأن القرآن هو حبل الله المتين، الذي يربط المسلمين بربهم، ويجمع بين قلوبهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وما أحوج أبناءنا، حين يشبوا، لأن يرتبطوا بشتى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في وقت اشتدت فيه الهجمات على الإسلام والمسلمين في كل مكان .(كيف نعين أبناءنا على حب القرآن الكريم، شبكة الألوكة).

- مسابقة اين توجد هذه الكلمة : فالطفل يكون مولعا بزيادة قاموسه اللفظي. فهو يبدأ بنطق كلمة واحدة ثم يحاول في تركيب الجمل من كلمتين او ثلاث فلتكوني معينة له في زيادة قاموسه اللفظي وتنشيط ذاكرة الطفل بحفظ قصار السوروالبحث عن مفردة معينة من خلال ذاكرته. كأن تسأليه اين توجد كلمة الناس او الفلق وغيرها.

- اجعل القرآن رفيقه في كل مكان : يمكنك تطبيق هذه الفكرة بأن تجعلي جزء عم في حقيبته مثلا. فهذا يريحه ويربطه بالقرآن خصوصا في حالات التوتروالخوف فانه يحس بالامن ما دام معه القرآن على أن تيعلم آداب التعامل مع المصحف.

سجل صوته وهو يقرأ القرآن : فهذا التسجيل يحثه ويشجعه على متابعة طريقه في الحفظ بل حتى اذا ما نسي شي من الآيات او السورفان سماعه لصوته يشعره انه قادرعلى حفظها مرة اخرى. اضيفي الى ذلك انك تستطيعين ادراك مستوى الطفل ومدى تطورقرائته وتلاوته .

- أعدَّ له مسابقات مسلية من قصار السور (لمن هم في سن 5 او اكثر) : هذه المسابقة تكون بينه وبين اخوته او بينه وبين نفسه. وهي أسئلة واجوبة متناسبة مع مستواه.

فمثلا يمكن للام ان تسأل ابنها عن : كلمة تدل على السفر من سورة قريش؟ ج رحلة

فصلين من فصول السنة ذكرا في سورة قريش؟ ج الشتاء و الصيف

اذكر كلمة تدل على الرغبة في الاكل؟ ج الجوع .

او اذكر الحيوانات المذكورة في جزء عم او في سور معينه ؟

وهكذا بما يتناسب مع سن و فهم الطفل [94].

* **   * * * *   * **

94/ مقتبس من قال : 25 طريقة لربط طفلك بالقرآن الكريم – موقع صيد الفوائد .

المبحث الر ابع

أهمية خشوع القلب عند تلاوة القرآن في ضوء الكتاب والسنة

المطلب الأول : الآثار المروية في قلة الخشوع في آخر الزمان .

المطلب الثاني : بعض ما ورد في القران والسنة في شأن الخشوع عند التلاوة .

إنما يخشع المرء المسلم عند تلاوة القرآن على قدر عظمة ومحبة القرآن في قلبه على النحو الذي ذكرناه في المطلب السابق ، وفي هذا المطلب أحببت أن أذكر آيتين تدلان على أهمية الخشوع عند التلاوة والآيات ولكن قدمت بين ذلك بعض الآثار التي تصف قلة الخشوع في آخر الزمان فصار لدينا محوران ، فأقول مستعينا بالله تعالى:

المطلب الأول : الآثار المروية في قلة الخشوع في آخر الزمان :

ورد آثار تدل على قلة الخشوع في آخر الزمان، لكن هذا لا يمنع أن تكون فئة قليلة تحظى بذلك الخشوع عند تلاوته – اللهم اجعلني وجميع القراء منهم – ومن هنا أحببت أن أشير إلى تلك الآثار لئلا تستغرب أخي القارئ عندما تنظر إلى حال الكثرة الكاثرة من المسلمين وقد حُرموا من هذا الخشوع فيعلم حينها أن تلك إحدى نبوءات الحبيب صلى الله عليه وسلم .

أما النسبة لتلك الآثار فقد تحدث عنها أحد الباحثين مبينا خطورة فقدان الخشوع وواصفا احال الأمة فقال[95]:

إنّ الأمم تبقى أُمَماً حيَّةً إذا عملت بما أُنزل إليها من ربّها، و اقتفت أثر رسلها عليهم صلوات الله وسلامه، ولكن إن تنكَّبت طريقهم، حلّ عليها سخط الله تعالى، ونزلت عليها نقمته، وليس بالضّرورة أن يكون السّخط حجارة من السّماء،أو خسفا من تحت أرجلهم، ولكن قد يشغلهم بأنفسهم،وينزع من قلوبهم خشيته وحبّه، وخشوعهم له، حتىّ يصير النّاس كالبهائم لا ترى نعمة عليها سوى نعمة الشّهوات والخوض في غمرات الملذّات، فيأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

* **   * * * *   * **

وقد جاء بذلك الحديث صريحا فصيحا فعن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: **(هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ)** ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: **أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللهِ، وَقَدْ عَلَّمْنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:** (إِنْ

95/ مقال كيف تكون عبدا خاشعا لله في حياتك وصلاتك - للشيخ أبي سليمان المختار بن العربي مؤمن – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

كُنْتُ لأَظُنُّكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلاَلَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، عَزَّوَجَلَّ).

فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: (وَهَلْ تَدْرِي مَا رَفْعُ الْعِلْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، قَالَ: (الْخُشُوعُ، حَتَّى لاَ تَكَاد تَرَى خِاشَعًا) [96].

وفي لفظ رواه الحاكم قال جبير: فلقيتُ عبادة بن الصّامت فقلت له: (ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ و أخبرته بالذي قال، فقال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثك بأوّل علم يرفع من الناس: الخشوع؛ يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا)[97].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: رُوي عن سعيد بن بشير عن الحسن،وروي نحوه عن حذيفة رضي الله عنه أنّهم قالوا: (أوّل علم يُرفع من النّاس الخشوع حتى لا ترى خاشعًا) [98].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى - محذّرا أهل العلم -: (اتّقوا الله فإنّكم في زمان رَقَّ فيه الورع، وقَلَّ فيهِ الخُشُوعُ، وحمل العلم مفسدوه فَأَحَبُّوا أن يُعْرَفُوا بِحَمْلِهِ، وَكَرِهُوا أن يُعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا فيه من الخطأ، وحرَّفوا الكلمَ عما تركوا من الحقّ إلى ما عملوا به من باطل، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يُعترَف به! كيف يهتدي المستدلّ المُسْتَرْشِدُ إذا كان الدّليل حائرا)[99].

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى: أنّه قال: يرفع من هذه الأمّة الخشوع حتى لا ترى خاشعا.

96/ رواه ابن حبان (6720)،وأحمد 6/ 26(24490) و"البُخَارِي" في "خلق أفعال العباد"(42)، و"النَّسائي" في "الكبرى(5879) قال أبو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، عَقِب حديث أَبي الدَّرْدَاء (2653): هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

97/ المستدرك للحاكم (1/ 179).ورواه الدارمي (288) قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف عبد الله بن صالح سيئ الحفظ وفيه غفلة وباقي رجاله ثقات.

98/ الخشوع في الصلاة لابن رجب (16).

99/ الإمام الدارمي في (سننه) (675) طبعة حسين سليم أسد.

لقد أضاع كثير من الناس الخشوع من معظم العبادات كالصلاة والتلاوة حتى أصبحت صلواتنا خالية من الخشوع سواء الفرائض أو النوافل، فكثير من النّاس همّهم أن يخلّصهم الإمام بركيعات سريعة لا يعرفون ما قرأ، ولا يحصون كيف سجد أو ركع.

واختفى الخشوع في صيام كثير من النّاس فهمّهم النّوم، وديدنهم الكلام المذموم ، **كما قيل :** يأكلون الأرطال ويشربون الأسطال، وينامون اللّيل ولو طال،والصّحيح واقعا في حياة كثير من النّاس ينامون نهار رمضان ويتسكعون في ليله، فلا قيام ولا صيام.

أمّا في الحجّ فلا يبالي كثير من النّاس بالخشوع لله في إحرامهم، وتلبيتهم، وسائر نسكهم، فتراهم يزدحمون على الحجر التحام القتال، لا يبالي أحدهم بالصغير والكبير، والقوي والضعيف، ويسعون ويطوفون جريا رغبة متى يتخلّص أحدهم من النّسك ليضع عن عاتقه واجبا يراه، ونسي لبّ تلك العبادات وما دراه، فهل أحسن لمن يراه، فاللهم عفوك يا من ترانا ولا نراك.انتهى.

و أقول : إننا إذا تأملنا القرآن العظيم وجدنا فيه آيات كثيرة تدعو إلى خشوع القلب عند تلاوته وعند استماعه إذ لا فائدة من تلاوة أو استماع لا خشوع فيه .

فإن حصل ما هو مطلوب من المؤمن من خشوع فحينها ستؤتي تلاوة القرآن ثمارها الطيبة من الحب لله وخوفه ورجائه وخشيته والإنابة إليه وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه فيمتلئ القلب بالإيمان والشوق إلى الرحمن وعالي الجنان وذلك مطلب غال وغاية عالية وهدف أسمى لا بد من أن تشرئب إليه العناق وتطلبه الأنفس وتتمناه الأفئدة .

* **   * * * *   * **

المطلب الثاني

بعض ما ورد في القران والسنة في شأن الخشوع عند التلاوة

لقد وردت آيات كثيرة تحث على الخشوع لله تعالى عند التلاوة وفي الصلاة ولكن أكتفي بالوقوف مع آيتين فيهما العظة والعبرة بل فيهما حياة القلب وخشوعه :

الآية الأولى : قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة الحديد (16-17) .

ولنا معها أربع وقفات :

الوقفة الأولى : شدة العتاب على قساوة القلب بسبب طول الأمد :

ورد عن الحسن البصري رحمه الله تعالى : أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرءون فانظروا في طول ما قر أتم وما ظهر فيكم من الفسق . (يعني أن ما نزل القرآن وقت نزول هذه الآية كان قليلاً).

وقال ابن رجب في تفسيرها : هذه الآية تتضمن توبيخا وعتابا لمن سمع هذا السماع، ولم يحدث له في قلبه صلاحا ورقة وخشوعا، فإن هذا الكتاب المسموع يشتمل على نهاية المطلوب، وغاية ما تصلح به القلوب، وتنجذب به الأرواح، المعلقة بالمحل الأعلى إلى حضرة المحبوب، فيحيا بذلك القلب بعد مماته، ويجتمع بعد شتاته، وتزول قسوته بتدبر خطابه وسماع آياته، فإن القلوب إذا أيقنت بعظمة ما سمعت، واستشعرت شرف نسبة هذا القول إلى قائله، أذعنت وخضعت. فإذا تدبرت ما احتوى عليه من المراد ووعت، اندكت من مهابة الله وإجلاله وخشعت .

الوقفة الثانية : المراد بما نزل من الحق وسبب تقديم الذكر عليه :

قال الشنقيطي : وقال بعض العلماء : المراد بذكر الله القرآن ، وعليه فقوله : وما نزل من الحق من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين ، كقوله تعالى : **(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)** الأعلى (1-5).

وعلى هذا القول فالآية كقوله تعالى : (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**) سورة الزمر (23).

فالاقشعرار المذكور ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث - يفسر معنى الخشوع لذكر الله ، وما نزل من الحق هنا كما ذكر .

قال الرازي رحمه الله تعالى : و إنما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القرآن ؛ لأن الخشوع والخوف والخشية لا تحصل إلا عند ذكر الله ، فأما حصولها عند سماع القرآن فذاك لأجل اشتمال القرآن على ذكر الله .

* **   * * * *   * **

الوقفة الثالثة : أثر سماع القرآن وتلاوته في حصول الخشوع القلبي [100] :

1 - لما كانت الروح تقوى بما تسمعه من الحكمة والموعظة الحسنة، وتحيا بذلك، شرع الله لعباده سماع ما تقوى به قلوبهم، وتتغذى وتزداد إيمانا.

فتارة يكون ذلك فرضا عليهم، كسماع القرآن، والذكر والموعظة يوم الجمعة في الخطبة والصلاة، وكسماع القرآن في الصلوات الجهرية من المكتوبات .

وتارة يكون ذلك مندوبا إليه غير مفترض، كمجالس الذكر المندوب إليها كالتسبيح والتهليل وسائر الأذكار.

2 - فإذا هطل عليها و ابل الإيمان من سحب القرآن، أخذت ما وسعت، فإذا بذرفيها القرآن من حقائق العرفان، وسقاه ماء الإيمان، أنبتت ما زرعت وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت و أنبتت من كل زوج بهيج فانظر إلى آثاررحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها .

ومتى فقدت القلوب غذاءها، وكانت جاهلة به، طلبت العوض من غيره، فتغذت به، فازداد سقمها بفقدها ما ينفعها والتعوض بما يضرها . فإذا سقمت مالت إلى ما فيه ضررها، ولم تجد

100/ تفسير ابن رجب الحنبلي .

طعم غذائها، الذي فيه نفعها، فتعوضت عن سماع الآيات، بسماع الأبيات . وعن تدبر معاني التنزيل، بسماع الأصوات.

3 - فمن سمع كلام الله ولم يتدبره، ولم يُحدِثْ له خشوعًا، فهذا مؤشرٌ على أن قلبه عليه قفل يَمنعه من أن يتدبَّر أو يخشع، وهذه علامة خطيرة أعظم من أي مرض جسميّ يَحِل بالإنسان؛ لأن القلب إذا خُتِم عليه، وصار بعيدًا عن خشية ربه، فإنه قد تُوُدِّع منه، إلا أن يشاء الله، ولذلك ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلًا لهذه القلوب التي لا تخشع للقرآن، فقال كما ثبت في صحيح مسلم: (**حتى يعود القلب كالكوز مُجخِّيًا**)؛ يعني: كالكوب المقلوب، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه، فالكوز المقلوب الذي قُلب على وجهه على فتحته، فإنه لا يمكن أن تُدخِلَ إليه أي شيء؛ لأنه مُغلق، وهكذا حال القلب الذي غشاه الران: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: 14]، والله سبحانه ذَكَّر بأحوال مَن قبلنا، فقال: ﴿ **وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ** ﴾ [الحديد: 16].

4 - حريٌّ بالمؤمن أن يراجع نفسه، وأن يُكثر من دعاء الله: (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن عين لا تَدمع، ومن دعاء لا يُسمَع)، فهذه موعظة، وأي موعظة؟ موعظةٌ عظيمة وعتاب من ربٍّ كريم: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: 16].

* ** * * * * * **

الوقفة الرابعة : لا ييأس المؤمن من أن يحيي الله قلبه بالقرآن :

هذا المعنى مستفاد من قوله تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الحديد (17) ففيه إشارة إلى أنه ، تعالى ، يلين القلوب بعد قسوتها ، ويهدي الحيارى بعد ضلتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان - الوابل - كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد

الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال[101] .

* **　　　* * * *　　　* **

الآية الثانية : قوله تعالى : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** سورة الأنفال (2) .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : قوله تعالى : (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) أي تصديقا . فإن إيمان هذه الساعة زيادة على إيمان أمس ،فمن صدق ثانيا وثالثا فهو زيادة تصديق بالنسبة إلى ما تقدم .

قال السعدي رحمه الله تعالى : (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع **ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم**،.لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه،أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم،أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان .

وللعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى كلام غاية في الأهمية حول تأثير سماع القرآن على قلب المؤمن لا بد من إثباته هنا ، حيث قال[102]:(**وَهَذَا السَّمَاعُ الْقُرْآنِيُّ سَمَاعُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَيَحْصُلُ لِلْأَذْهَانِ الصَّافِيَةِ مِنْ مَعَانٍ وَإِشَارَاتٍ، وَمَعَارِفَ وَعُلُومٍ. تَتَغَذَّى بِهَا الْقُلُوبُ الْمُشْرِقَةُ بِنُورِ الْأُنْسِ. فَيَجِدُ بِهَا وَلَهَا لَذَّةً رُوحَانِيَّةً. يَصِلُ نَعِيمُهَا إِلَى الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ. وَرُبَّمَا فَاضَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْأَجْسَامِ. فَيَجِدُ مِنَ اللَّذَّةِ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنَ اللَّذَّاتِ الْحِسِّيَّةِ.**

ثم قال رحمه الله : وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْمَسْمُوعُ شَدِيدَ التَّأْثِيرِ فِي الْقَلْبِ. وَلَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، لِاشْتِغَالِهِ بِغَيْرِهِ، وَلِمُبَايَنَةِ ظَاهِرِهِ لِبَاطِنِهِ ذَلِكَ الْوَقْتَ. فَإِذَا حَصَلَ لَهُ نَوْعُ تَجَرُّدٍ وَرِيَاضَةٍ: ظَهَرَتْ قُوَّةُ ذَلِكَ التَّأْثِيرِوَالتَّأَثُّرِ.

101/ تفسير ابن كثير.

102/ مدارج السالكين – لابن القيم – منزلة الأنس .

فَكُلَّمَا تَجَرَّدَتِ الرُّوحُ وَالْقَلْبُ، وَ انْقَطَعَتَا عَنْ عَلَائِقِ الْبَدَنِ، كَانَ حَظُّهُمَا مِنْ ذَلِكَ السَّمَاعِ أَوْفَى، وَتَأَثُّرُهُمَا بِهِ أَقْوَى.

فَإِنْ كَانَ الْمَسْمُوعُ مَعْنًى شَرِيفًا بِصَوْتٍ لَذِيذٍ: حَصَلَ لِلْقَلْبِ حَظُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ إِدْرَاكِ الْمَعْنَى، وَ ابْتَهَجَ بِهِ أَتَمَّ ابْتِهَاجٍ عَلَى حَسَبِ إِدْرَاكِهِ لَهُ. وَلِلرُّوحِ حَظُّهَا وَنَصِيبُهَا مِنْ لَذَّةِ الصَّوْتِ وَنَغمَتِهِ وَحُسْنِهِ. فَابْتَهَجَتْ بِهِ. فَتَتَضَاعَفُ اللَّذَّةُ. وَيَتِمُّ الابْتِهَاجُ. وَيَحْصُلُ الارْتِيَاحُ. حَتَّى رُبَّمَا فَاضَ عَلَى الْبَدَنِ وَالْجَوَارِحِ. وَعَلَى الْجَلِيسِ.وَهَذَا لَا يَحْصُلُ عَلَى الْكَمَالِ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ – يعني في الجنة.

ثم قال رحمه الله : فَإِذَا تَجَرَّدَتِ الرُّوحُ وَكَانَتْ مُسْتَعِدَّةً. وَبَاشَرَ الْقَلْبَ رُوحُ الْمَعْنَى. وَ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَسْمُوعِ. فَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. وَسَاعَدَهُ طِيبُ صَوْتِ الْقَارِئِ: كَادَ الْقَلْبُ يُفَارِقُ هَذَا الْعَالَمَ. وَيَلِجُ عَالَمًا آخَرَ. وَيَجِدُ لَهُ لَذَّةً وَحَالَةً لَا يَعْهَدُهَا فِي شَيْءٍ غَيْرِهِ أَلْبَتَّةَ. وَذَلِكَ رَقِيقَةٌ مِنْ حَالَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ. فَيَا لَهُ مِنْ غِذَاءٍ مَا أَصْلَحَهُ وَمَا أَنْفَعَهُ.

وَحَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ قَدْ تَرَبَّى عَلَى غِذَاءِ السَّمَاعِ الشَّيْطَانِيّ: أَنْ يَجِدَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ. بَلْ إِنْ حَصَلَ لَهُ نَوْعُ لَذَّةٍ. فَهُوَ مِنْ قِبَلِ الصَّوْتِ الْمُشْتَرَكِ. لَا مِنْ قِبَلِ الْمَعْنَى الْخَاصّ .

ثم ختم كلامه قائلا : وَالْقَلْبُ يَتَأَثَّرُبِالسَّمَاعِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ. فَإِذَا امْتَلأَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَسَمْعِ كَلَامِ مَحْبُوبِهِ - أَيْ بِمُصَاحَبَتِهِ وَحُضُورِهِ فِي قَلْبِهِ - فَلَهُ مِنْ سَمَاعِهِ هَذَا شَأْنٌ. وَلِغَيْرِهِ شَأْنٌ آخَرُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

قلت : ولا شك أن زيادة الإيمان مدعاة إلى الزيادة في الخشوع الذي نصبوا إليه ونرجو الحصول عليه .ومن هنا كثر بكاء السلف الصالح عند تلاوة القرآن وعند سماعه ، وإن شئت عد إلى تلك الاثار التي ذكرتها في التمهيد لهذا الفصل ، والله الموفق للصواب ، والله أعلم.

* **　　　* * * *　　　* **

ثانياً : الأحاديث والآثار التي تحث على الخضوع عند التلاوة :

وردت فيه أحاديث كثيرة. وآثار للسلف فمن ذلك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ومنها **قوله صلى الله عليه وسلم (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا)** [103]. **وصح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)** رواه الترمذي بسند حسن .**وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع)** رواه الترمذي وأحمد بسند صحيح .

«اقْرَأْ عَلَيَّ». قُلْتُ: أأقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». فَقَرَأْتُ مِنْ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلى هَذِهِ الآية: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا}، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ». فالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

* **   * * * *   * **

103/ رواه ابن ماجه في سننه وقال العراق فى تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين : إسناده جيد .

المبحث الخامس

الخطوات العملية لتحقيق الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم

المطلب لأول : تهيئة الأجواء المصاحبة لتلاوة القرآن أو الاستماع إليه .

المطلب الثاني : الخطوات الموصلة إلى الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم .

ا المطلب الأول

تهيئة الأجواء المصاحبة لتلاوة القرآن أو الاستماع إليه

وكلمة الأجواء تشمل الأجواء الخارجية التي تحيط بك ، من هدوء أو ضوضاء ونحو ذلك، وما يعتريك في الأجواء الداخلية أعني باطنك وما يجول في فكرك ويعتري قلبك من أحاسيس ، ولهذا سيكون الحديث في نقطتين كبيرتين :

النقطة الأولى : تهيئة الأجواء الخارجية [104]:

بداية هذه التهيئة ضرورية لمن أراد أن يطيل الجلوس مع كلام الله تعالى ولكي تتهيأ لذلك أبدأ بهذا المثال العملي الواقعي : عندما يكون لديك عمل ذهني هام يحتاج منك إلى وقت طويل فإنك تتفرغ له وربما أغلقت جوالك وأمرت أولادك بعدم إزعاجك وعدم إدخال أحد عليك، وذلك لكيلا تنقطع أفكارك أثناء قيامك بذلك العمل لأن انقطاعها يعني عدم الاستفادة منها، فلاحظ أن التفرغ البدني هو أكبر معين على إنجاز العمل الذهني .

ولا يمكن أن تكون قد فتحت وسائل التواصل الاجتماعي في جوالك ومع ذلك تريد أن تنجز ذلك العمل .

* **   * * * *   * **

فإذا حققت ذلك ثم شرعت في التلاوة وفي نيتك تطويل الجلوس مع المصحف فهذا له دلالتان في نفسك وإن لم تتفطن لهما ، وهما :

- أن قراءة القرآن ذات أهمية قصوى في نفسك ومن هنا خاطِب نفسك قائلاً : لا يليق بي أن أنشغل بغير التلاوة ، وهنا أطرح هذا السؤال هل جرَّبت يوماً من الأيام أن تقوم بهذا التفرغ قبل التلاوة على الطريقة المذكورة آنفاً ، جرِّبْ وسترى النتيجة إن شاء الله تعالى .

104/ منقول بتصرف من رسالتي : ماذا تنوي عندما تتلو الذكر الحكيم – النية الأولى . (منشورة في موقع صيد الفوائد – ولله الحمد) .

- أنك أحببت الله تعالى حبا جعلك تحب كلامه وبالتالي أحببت إطالة الجلوس معه متأملا في آياته وكلماته .

ومن هنا كان لا بد من تهيئة الجو الداخلي (النفسي) : بعدم الشواغل الذهنية فلا يكون هناك أمر ملح تريد الانتهاء منه ولا حاجة بدنية تريد قضاءها من جوع أو عطش أو دخول للحمام .

كما أنه لا بد من الهدوء الخارجي : فلا ضوضاء من الأطفال أو من التلفاز أو من أناس يدور بينهم حديث حيث أنت جالس ، ولا اتصالات أو رسائل عبر الجوال ، ولذا كان لا بد من إغلاقه إذ مجرد سماع صوت وصول رسالة يشغل ذهنك ويفتح أمامك الوسواس : من المرسِل وماذا يريد ولعلها رسالة مهمة ..الخ .

وإذا كان الجو في بيتك لا يسمح بهذا الهدوء فالجأ إلي بيت الله تعالى على أن تجلس في زاوية بعيدة عمن يتحدثون أو يقرأون القرآن .

* **   * * * *   * **

النقطة الثانية : تهيئة الجو الداخلي (الباطن) : ونعني به استحضار عظمة القرآن الكريم بحيث تستحي أن يجول في خاطرك أمورا سوى ما أنت بصدده من تلاوته والتفكر في آياته ومحاولة التأثر القلبي بكلماته ... ولي عبارة كنت أقولها في بعض الدروس (القرآن يحتاج منا إلى لسانٍ يتلو وعقلٍ يتدبر وقلبٍ يتأثر وجوارحَ تعمل).

ومما يعينك على هذه التهيئة الباطنية أن تستحضر ما قاله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى حول تعظيم القرآن عدة أمور[105] :

105/ ذكر الغزالي في الأحياء في ربع العبادات عشرة آداب باطنة لتلاوة القرآن وهي – مجملة - : فهم أصل الكلام. ثم التعظيم. ثم حضور القلب. ثم التدبر. ثم التفهم. ثم التخلي عن موانع الفهم. ثم التخصيص. ثم التأثر. ثم الترقي. ثم التبري. (ذكرت ثلاثة منها في صلب الموضوع باختصار) . وقد وفقني الله تعالى وعثرت على نظم لها في أبيات سهلة وواضحة للأستاذ محمد بن أحمد رفيق وسماها (منظومة في آداب قارئ القرآن- شبكة الألوكة) حيث يقول فيها :

فهاك مِنِّي جملةً من الأدب ... أرجو منها زُلْفًا مِن الذي وهَب
نقلتها من سِفرِ الإحْيَا ناصحا ... مُهذّبًا مُرتّبًا مُوضّحَا
نَظَمْتُها في عشرةٍ مَن يعتني ... بها يجِدْ ثمارَها لا يَنْثني
فَهْمُ كلامِ الله بالتدبُّرِ ... فيقشعرُّ الجِلدُ مما يَعترِي
وعظِّمِ الواحدَ جلَّ وعلا ... واجعلْ كلامَه رفيعًا في العُلا
وحضِّرِ القلبَ يكنْ شهيدا ... وادَّكِرِ الوَعْدَ كذا الوعيدا

الأول : فَهْم عظمة الكلام : وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه.

فلينظر – التالي للقرآن - كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهمام خلقه؟ وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه.

ولولا استتاركنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثري ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره.

ولولا تثبيت الله عزوجل لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صاردكاً.

ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق، ولقد تألق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصوررتبته وضرب له مثلاً لم يقصرفيه؛ وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء

تدبُّـــرٌتفكّــرٌفي آيـــــهِ ... لا تشتغلْ لا تلتفتْ لغيرِهِ
مستفهمًا لآيهِ مُستوضحا ... لِما خَفِي والشيخَ كن مستفصحا
وحاذرَنَّ حُجُبَ الفهمِ وسَلْ ... عن كُنْهِها كيما تحيدَ وتَخَلّ
أوَّلُها تكلُّفٌ إذا قَرَا ... ثانيهِ تقليدُ الذي قد أبهرا
إصرارُقارئٍ على الذنوبِ ... يطفئ ذاك النورَفي القلوب
لزومُ تفسيرٍورأيٍ واحدِ ... فليس عنه أبدًا بحائدِ
فإن علمتَ هذه الموانعا ... فدونها أيضًا تحلُّ سابعا
بأن ترى كأنكَ المخاطَبُ ... و أنَّكَ المقصودُ والمطالَبُ
والثامنُ اجتنابُ ما قد أوعدا ... وموقنًا بأنه عَيْنُ الرَّدى
والتاسعُ استحضارُمَنْ تكلَّما ... كأنما سمعُكَ منه قد سما
وعاشرُالآداب إخلاصُ العمل ... فليس يَبْغي غيرَهُ عزَّوجلَّ
فالالتفاتُ مبطلُ الأعمالِ ... مُصَيِّرُالأجورللزوالِ
يا ربنا أصلحْ لنا ما قد بَطن ... وما بدا وما خفي وما علن
بذا يكون نظمنا قد انتهى ... فاعمل بها أخي وقُلْ أنا لها
ختمتُها والفضلُ لله الأحد ... مُجري العطايا ليس تُحصى أوتُعَد

عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه؛ فقال الملك: أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس و أنه كلام الله عزوجل فكيف يطيق الناس حمله؟ .

فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها و إقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها.

وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عزوجل بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس.

ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها، فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً.

* **   * * * *   * **

الثاني التعظيم للمتكلم : ينبغي للتالي للقرآن عند شروعه في التلاوة أن يُحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال (**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**) الواقعة (79) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً **بحكم عزه وجلاله** محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير. وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب.

ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: (**هو كلام ربي هو كلام ربي**) [106] .

106/ أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنة (20) .

فتعظيمُ الكلام تعظيمٌ للمتكلم ولن تَحضُره عظمةُ المتكلم ما لم يتفكَّر في صفاته وجلاله و أفعاله.

فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادرعليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته عليهم ،مترددون بين فضله ورحمته ، وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمى والتعالي. فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام.

* **   * * * *   * **

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس والتفاعل مع الآيات المتلوة :

قيل في تفسير **(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)** سورة مريم (12) أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره.

وذلك بأن يتفاعل مع كل آية بما يليق بها فيتأمل في معاني أسماء الله وصفاته ويتأمل في أفعاله تبارك وتعالى ليستدلّ على عظمته سبحانه.ويتأمَّل قصص الأنبياء، وكيف كذبهم أقوامهم وآذوهم ثم نجى الله أنبياءه وأهلك أعداءهم، وكيف كانت عاقبة المتقين، ويعتبر من أحوال المكذبين للرسل، وأنَّ كلَّ من عصى الله، وكذَّب الرسل، فهو معرَّض للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد:

قاعدة جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعَكَ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: 37]، وقوله: ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ المراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله؛ كما قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا**﴾ [يس: 69، 70]؛ أي: حي القلب، وقوله: ﴿**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ**﴾؛ أي: وجه سمعه، وأصغى حاسَّة سمعه إلى ما يُقال له، وهذا شرط التأثُّر بالكلام.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب؛ قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقُّل ما يُقال له، والنظر فيه وتأمُّله.

وإذا كان الإمام الآجرى توقف بحد قراءة القرآن إلى غاية الائتمار بأمره ، والانتهاء عن زجرة للفوز بالجنة ، إذا قال :"**المؤمن العاقل إذا تلى القرآن استعرضه فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله ، وما قبح منه فيما حذره مولاه حذره ، وما خوفه به من عقابه خافه ، وما رغبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه ، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ، ورعاه حق رعايته ، كان له القرآن شاهداً وشفيعاً و أنسًيا وحرزًا، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله وعاد على والديه وعلى ولده ، كل خير في الدنيا والآخرة** ؛ فإن الأمام الغزالي عد هذه مرحلة متقدمة من مراحل القراءة ، وهى مرحلة التخصيص " ، لكنه عمم ذلك بحيث أن كل خطاب في القرآن موجه إلى القارئ ليفهمه ويعمل بمقتضاه . وقد تجاوز هذه الغاية كثيراً ، ويضيف إليه التأثر والترقى والتبرى ليتمم بذلك منهجه التربوى الإصلاحى .

ولئن وجه الآجرى نفسه وغيره من الناس جميعاً إلى هذا النحو من القراءة ، فإن الغزالي يفرق – كما يبدو – بين العوام والخواص ، ويطرح نظريته على مستوى العارفين الذين هم أرفع الناس في رآيه ، دون أن يهمل بقية الناس ، فكل له فيه نصيب .

وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآنَ تُحدِّثُ نفسَك بشيء؟ فقال : أَوَشَيءٌ أحب إليَّ من القرآن حتى أحدث به نفسي! .

وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظِّم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه.

ففي القرآن ما يَستأنِس به القلب إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزَّه ومتفرَّج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ؟.

* **   * * * *   * **

الرابع : طهارة القلب من الصفات المذمومة : كالكبر والحسد والحقد ونحوها، ويدل على ذلك قوله تعالى : (**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) الأعراف (146) .

قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى في تفسيرها : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي .

قال ابن كثيررحمه الله : سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل ، كما قال تعالى : (**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**) [الأنعام : 110] وقال تعالى : (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**) [الصف : 5] .

وقال بعض السلف : لا ينال العلم حيي ولا مستكبر.

وقال آخر: من لم يصبرعلى ذل التعلم ساعة ، بقي في ذل الجهل أبدا .

قال ابن القيم رحمه الله بعد تفسيره لقوله تعالى : (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**) سورة إبراهيم (24)، فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الوقفة وقلوبنا المخطئة وعلومنا القاصرة وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال وتجرت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم وتتلاشى عنده معارف الخلق وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته[107] .

* **　　　* * * *　　　* **

107/ الحاوي في تفسير القرآن الكريم – موقع نداء الإيمان .

المطلب الثاني

الخطوات العملية إلى الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم

هذه الخطوات مهمة في تقديري وهي نافعة بإذن الله تعالى للوصول إلى تلك الرتبة العلية عند تلاوة الآية القرآنية وهي خشوع القلب وقشعريرة البدن ولكي لا تتحول التلاوة إلى مجرد قراءة دون تركيز مع الحرص على الختم المصحف لأن ذلك قلّ ما ينتفع به المسلم .

أما التلاوة الفرض : فهي قراءة سورة الفاتحة في الصلاة ولا شك أن المصلي مطَالب شرعا بحضور عقله وخشوع قلبه في أذكار الصلاة لا سيما تلاوة الفاتحة [108] .

وأما التلاوة النفل : فهي ما نقرأوه بعد الفاتحة في الصلاة وما نتلوه في أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم كسورة الإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي بعد كل صلاة وخواتيم البقرة إضافة إلى الورد اليومي من القرآن وهو تلاوة جزء أو أكثر - كلٌّ حسب ما ييسره الله له - وهذا كله يحتاج منا إلى تدبر وخشوع وروحانيات لتكون سببا في تزكية النفوس وتحسين الأخلاق وإصلاح العلاقات مع الله تعالى ومع المخلوقين على اختلاف مراتبهم فالتعامل مع الوالدين والأرحام وليس كالتعامل مع الجيران والأصدقاء ... وهكذا .

فمن وصل إلى روحانيات تلاوة القرآن الكريم فإنه سيصل ولا بد إلى أن يصبح القرآن نبراسا لحياته وضياءً لطرقاته كما سيأتي بيانه في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

* **   * * * *   * **

والآن نريد بيان الطريق الموصلة إلى الخشوع عند تلاوة الآيات :

أولاً : استحضار الإخلاص لله تعالى قبل الشروع في التلاوة :

الحديث عن الإخلاص وإن كان معلوما مشهورا إلا أنني أحببت الإشارة إليه هنا لورود نصوص تحث على الإخلاص عند التلاوة على وجه الخصوص وما ذلك إلا لعظمة القرآن وعظمة تلاوته .

108/ وقد فصلت القول في تلاوة الفاتحة وتفسيرها وروحانياتها في كتابي المجلي عن روحانيات المصلي (وهو منشور في موقع صيد الفوائد ولله الحمد) .

ومن هنا تذكر أخي الكريم :

• أن قراءة القرآن عبادة، والعبادة مبناها على الإخلاص؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: 5].

• وأن الأعمال إنما تكون صحيحة مقبولة بحسب نية العامل؛ قال صلى الله عليه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيات، و إنما لكل امرئ ما نوى**)[صحيح البخاري].

فلا يُطلب بالقرآن شرف المنزلة في الدنيا أو يطلب رئاسة أو مال أو وجاهة أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو غير ذلك من أعرض الدنيا الز ائلة.

• **ثم تذكر ما جاء في حديث الثلاثة الذين تُسعَّر بهم النار يوم القيامة**؛ أن منهم **(قارئ للقرآن)** **والسبب ولا شكَّ في تسعير النار به يوم القيامة، هو أنه لم يكن من الذين أخلصوا لله سبحانه وتعالى في ذلك؛ ولذلك يقال له يوم القيامة: (كذبْتَ ولكنك تعلَّمْتَ العلمَ ليُقالَ عالمٌ، وقرأتَ القُرآنَ ليُقال هو قارئ).**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ أوَّلَ الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استُشهِد، فأُتي به فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كذَبتَ؛ ولكنك قاتلتَ لأن يُقال: جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العلم وعلَّمْتُه وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذَبْتَ؛ ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العلمَ ليُقال: عالمٌ، وقرأتَ القُرآنَ ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسَّع اللهُ عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحِبُّ أن يُنفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت؛ ولكنك فعلتَ ليُقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه، ثم أُلقي في النار**) [صحيح مسلم (1905)].

* **   * * * *   * **

ثانياً : معرفة أهمية تدبر القرآن الكريم : وذلك لأن من قرأ كلاما ولم يفهم معناه فقلما ينتفع به ولذا نجد أن السلف وغيرهم ذموا التلاوة بغير فهم للمعنى .

وليعلم القارئ بأن الله تعالى يُخاطبه بهذا القرآن، فكل خطاب في القرآن موجَّه إليه شخصيًّا، فعليه أن يقرؤه كما يقرأ العبد كتابًا خصَّه به مولاه؛ يأمره فيه وينهاه، وعليه أن يُشغِل قلبه في معنى ما يقرأ ويتأمَّل الأمر والنهي، ويعرض عمله على الآيات التي يقرؤها، فإن كان هناك شيء من التقصير أقبل على ربِّه، واستغفر من ذنبه، واجتهد في الطاعات وبعد عن المخالفات .

والتدبُّر هو المقصود الأعظم من القراءة؛ قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: 29]. وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد: 24].

قال علي رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها. وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد .

قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما : (لأن أقرأ سورة وأرتِّلها، وأتدبَّرها أحَبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله) .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى :دلَّت هذه الآية على وجوب التدبُّر في القرآن ليعرف معناه.

- **قال ابن القيم رحمه الله تعالى** : من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى : قراءة القرآن بخشوع وتدبُّر وتفهُّم.

- **قال الحسن بن علي رضي الله عنه:** أن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل وينفذونها في النهار .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : والمقصود من القراءة التدبر. ولذلك سُن لأن الترتيل فيه الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن.

بل إن الغزالي يقرر أن كل آية في القرآن فإن للقارء منها حظاً ونصيباً ، وثمرة ذلك معرفة الله تعالى ، وصنيع الغزالي في شرح معانى أسماء الله الحسنى حيث بين المعانى العملية المستفادة من فهم أسمائه تعالى بالنسبة إلى العبد ؛ لتسوقه تلك المعانى إلى طريق معرفة الله تعالى وإذا

لم يشترك العقل والقلب واللسان جميعا في قراءة القرآن كانت تلك القراءة عديمة الفائدة ضعيفة الأثر لا تقرب العبد من الله ، بل تحجبه عن هداية القرآن وحقائق معانيه ؛ ولذا استحق صاحبها أن يوصف بالغفلة ، إن الثمرة العملية من هذه القراءة بهذه الواصفات تنحصر في دائرة الفرد بحيث يكون حسن المظهر والمخبر ، وهذا العبد ينبغى أن يعطى أولوية كبيرة ، فهو من بركة العلم وثمرته ، فإن لم تورث القراءة سلوكاً والتزاماً فلا خير فيها.

* **   * * * *   * **

لِتدبُّر القرآن أهميةٌ بالغة تتضح فيما يلي [109] :

1- أنَّ تدبُّر القرآن وتفهُّم علومه من النُّصح لكتاب الله تعالى : وقد أشار إلى هذا المعنى أهل العلم، منهم ابن رجب رحمه الله بقوله: (وأمَّا النَّصيحة لكتاب الله: فشِدَّةُ حُبِّه وتعظيمُ قدرِه، إذ هو كلامُ الخالق، وشدَّةُ الرَّغبة في فَهْمِه، وشدَّةُ العناية لتدبُّره، والوقوف عند تلاوته؛ لِطلب معاني ما أحبَّ مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعدَ ما يفهمه [110]. إذاً تدبر القرآن وتفهُّم معانيه: من النصح لكتاب الله تعالى.

2- أنَّ القلب بحاجة إلى تدبُّر القرآن: فالقلب فيه وحشة لا تُزال إلاَّ بالأنس بكتاب الله تعالى، والتَّأمُّل في آياته، وفيه قلق وخوف لا يؤمّنه إلاَّ السُّكون إلى ما بشَّر الله تعالى به عباده، وفيه فاقة لا يغنيها إلاَّ التَّزوُّد من حِكَمِ القرآن ومواعظه وعبره، وفيه حيرة واضطراب لا ينجيه منها إلاَّ الاعتصام بكتاب الله تعالى.

فمَنْ أراد أن يخشع قلبه، وينشرح صدره، فلا غنى له عن التَّفكُّروالتَّمعُّن في الآيات الكريمات، ولا يكن همُّه - إذا افتتح السُّورة - أن يقول في نفسه: متى أختمها.

قال الآجرِّي رحمه الله: (فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حَسُن من فعله وما قَبُحَ فيه، فما حذَّره مولاه حَذَره، وما خوَّفه به من عقابه خافه، وما رغَّب فيه مولاه رَغِبَ فيه ورجاه) [111].

---

[109]/ مقتبس من مقال و جوب تدبر القرآن (خطبة) - د. محمود بن أحمد الدوسري – شبكة الألوكة .

[110]/ جامع العلوم والحكم، (1/ 209).

[111]/ أخلاق حملة القرآن - للآجري - (ص 39 - 40).

وقال رحمه الله أيضاً : وينبغي لقارئ القرآن أن يسأل نفسه : متى أتَّعظ بما أتلوه؟ ولا يكن همه: متى أختم السُّورة؟ و إنَّما يكون مراده: متى أعقل من الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأنَّ تلاوة القرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة [112].

3- الدُّخول فيمَنْ أثنى الله عليهم بتدبُّر القرآن: أثنى الله عزّوجل - في مواضع كثيرة من القرآن - على مَنْ تدبَّر كلامه وتأثَّر به، وبيَّن أن ذلك صفةُ عباد الله الخاشعين، ومن أبرز هذه المواضع : قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: 2 - 4].

ووجه زيادة إيمانهم - عند سماع القرآن: هو أنَّهم ألقوا السَّمع للقرآن، وأحضروا قلوبهم لتدبُّره، فعند ذلك ازداد إيمانهم ويقينهم.

فالتَّدبُّر يُحدث رغبةَ الخير، واشتياقاً إلى كرامة الله تعالى لهم، ووَجَلاً من عقوباته، وزجراً عن معاصيه، وكلُّ هذا ممَّا يزداد به الإيمان [113].

* **   * * * *   * **

ثالثاً : معرفة فوائد التدبر لكلام الله تعالى : قال العلامة ابن القيم رحمه الله حيث يقول : فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَ أَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا :

(1) تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا.

(2) وَتَتُلُّ - أي تدفع - فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ.

(3) وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ.

(4) وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ.

---

[112]/ أخلاق حملة القرآن – للآجري - (ص 18 - 19).

113/ تفسير السعدي، (2/ 188).

(5) وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَ اقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ.

(6) وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ تعالى ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَ أَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ.

(7) وَتُعَرِّفُهُ صِرَاطَهُ سبحانه الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ.

(8) وَتبصِّره بقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ المستقيم وَ آفَاتِهَا.

(9) وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا.

(10) وَ تُعَرِّفُهُ مُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا.

(11) وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِوَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسِيمَاهُمْ.

(12) وَتُعَرِّفُهُ مَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ.

(13) وَتُعَرِّفُهُ أَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَ افْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ 114 .

و أنا على يقين أن من اشتغل بالبحث عن هذه الفوائد أثناء تلاوته للقرآن الكريم التي أتحفنا بها ابن القيم رحمه الله سيجد نفسه يقرأ القرآن بتركيز شديد ومحاولة جادة للفهم والعمل بما يقرأ لأنه حينئذٍ سيعرف الحكمة العليا التي من أجلها أنزل القرآن وبها تغير الصحابة والصالحون من بعدهم وإلى يومنا هذا ، والله أعلم .

* **　　　* * * *　　　* **

رابعاً : التدبريقتضي التكرارلما أتلو: يقول الدكتور مالك البدري [115]- متخصص في علم النفس - : إذا داوم المرء على التفكر أصبح له عادةً طيبة مباركة، وخشع قلبه، وأصبح يستجيب لكل (مثير) في بيئته بالطيّب من الأحاسيس والمشاعر.ويرى الدارسون لظاهرة (التأمل الارتقائي) أن:

1- تركيز الذهن.

114/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين – لابن القيم - (1/ 450) .

115/ كتاب : التفكر .. من المشاهدة إلى الشهود (نقلا عن مقال : ليدبّروا آياته - د. أحمد البراء الأميري – شبكة الألوكة الشرعية) .

2- مع الترديد لمعنى إيماني، أو لصورةٍ ذهنية لها قيمة كبيرة لدى الشخص المتفكر، سيؤديان به إلى تصوّر أعمق، ومفاهيم جديدة عن موضوع التفكر والتأمل، ويرتقيان به إلى أفق أرفع من المعاني والتصورات التي لم يكن يدركها بسبب الحياة العادية، والألفة، والإدراك الحسي الروتيني المحدود. ومن ثمَّ وُصف ذلك التأمل بالارتقائي، لأن صاحبه يرتقي من أفق إلى أفقٍ أعلى منه.

وهل هناك أعلى وأغلى وأروع من القرآن الكريم مادة للتفكير والتأمل والتدبر، وتركيز الذهن، والتكرار؟ أليس في الأحاديث النبوية الكثيرة الواردة في الأذكار أذكارٌ بعضها يُكرّر ثلاث مرات، وبعضها سبعاً، وبعضها عشراً، وبعضها ثلاثاً وثلاثين، وبعضها مئة مرة، وبعضها كلما أكثر منها صاحبها كان أكبر أجراً؟.

* **   * * * *   * **

خامساً : فهم معنى الاستعاذة وحضور القلب عند التلفظ بها :

قال ابن كثير رحمه الله[116] : ومعنى **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**، أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله؛ ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

والشيطان : في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير.

وقيل: مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح.

116: تفسير ابن كثير- (115/1) – باختصار.

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول، أي: أنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾** [الملك: 5].

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى [117]:

هذا ولا تتم الاستعاذة إلا بعلم وحال وعمل.

والأول عِلم العبد بكونهِ عاجزا عن جلب المنافع ودفع المضار، دِينا ودُنيا، إلا بقدرة الله تعالى على ذلك قدرة تامة لا تُمكِن لأحد سواه فإذا حصل هذا العلم في القلب تولد عنه فيه حالة خضوع و انكسار، فينتقل عند ذلك إلى التضرع إلى الله تعالى والرغبة له بلسانه، في حصول هذه المعنى.

فيقول - وهو المراد من العمل - : أعوذ بالله مُريدا أن يصونه الله من كل آفات، ويخصه بإفادة الخيرات، فثبت هنا ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه ذلك الطلب، و ذلك في قوله : أعوذ بالله.

سادساً : معرفة أقسام التالين لآيات الكتاب المبين : قال الغزالي رحمه الله تعالى :

أما القراءة فالناس فيها ثلاثة:

رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل .

ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين.

ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه.

ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أويكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

بناءً على هذا التقسيم للقارئين للكتاب المبين نقول لا يفوز بروحانيات تلاوته إلى من استحضر ما سبق ذكره في المطلب السابق .

* **   * * * *   * **

117/ الجواهير العجيبة -أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني - ص(19-20).

سابعاً : مما يعين على الخشوع عند تلاوة القرآن :

ينبغي على التالي والسامع لكلمات التنزيل و آياته حينما ينطق بها أن يتخيل جبريل عليه السلام وهو يلقّنها أف لسدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يتخيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يحرك بها لسانه، ثم يتلوها على الصحابة رضي الله عنهم ، فإن استحضر ذلك خشَع قلبُه وخشعت جوارِحُه لله إجلالا وتعظيما.

وإذا استحضر عظمة القرآن على هذا النحو، و أنه كلام الله عزوجل، استشعر نعمة الله تعالى وفضله ولُطْفه بخَلْقِه أن يسَّرَ لهم قراءته وفهمه.

قال تعالى : **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** الزمر (23) .

قال ابن القيم رحمه الله - مدارج السالكين - : فمن قُرئَ عليه القرآنُ فليقدِّر نفسه كأنما يسمعه من الله تعالى يخاطبه به .

وقال أيضاً : وَالْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ : الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورِ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْخُشُوعَ مَعْنًى يَلْتَئِمُ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ.[118]

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : (**وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور، فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه.**

ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد؛ والخوف حق الوعيد؛ والعزم حق الأمر والنهي؛ والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر المنة، والاعتبار حق إخبار الأنبياء.

وروي أن زرارة بن أوفى رضي الله عنه لما انتهى إلى قوله تعالى **(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ)** خرَّ ميتاً .

118/ مدارج السالكين - منزلة الخشوع - لابن القيم .

وكان إبراهيم النخعي رحمه الله إذا سمع قوله تعالى (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) اضطرب حتى تضطرب أوصاله .

وقال عبد الله بن و اقد رحمه الله : رأيت ابن عمر رضي الله عنهما يصلي مغلوباً عليه؛ وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر.

وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب. ودرجات ذلك لا تنحصر .

ومما يعين على الخشوع عند تلاوة القرآن : ما أشار إليه الغزالي أيضا (أن يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل. ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد .

كان النخعي إذا مر بمثل قوله عزوجل (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) المؤمنون (91) يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به. ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

* **   * * * *   * **

ثامناً : البكاء أو التباكي عند تلاوة القرآن : ذلك لأن الحبيب صلى الله عليه وسلم حثنا على البكاء بقوله وبفعله :

أما بقوله : فمن خلال االأحاديث الواردة ،ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (اتلوا القرآن و ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا) [119]. وصح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي بسند حسن .وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي وأحمد بسند صحيح .

119/ رواه ابن ماجه في سننه وقال العراق في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين : إسناده جيد .

وأما بفعله أعني بكاؤه صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (اقْرَأْ عَلَيَّ) قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: (فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا) (النساء:41)، قَالَ : (أَمْسِكْ) فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى : إنما بكي صلى الله عليه وسلم عند تلاوة هذه الآية؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية إلى شهادته على أمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء .

* **   * * * *   * **

ولهذا جاء الحث على البكاء عند تلاوة القرآن في كلام كثير من العلماء :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : في كتابه (الإحياء): تلاوة القرآن حقَّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر.وقال النووي رحمه الله تعالى – في التبيان في آداب حملة القرآن - : البكاء في حال القراءة هو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالى (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) .

وأما ما ورد من الآثار في بكاء السلف فهو أكثر من أن يُحصى : وإليك بعضها :

أخرج عبد الرزاق بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه واضعًا رأسه في حجر امرأته فبكى، فبكت. فقال ما يبكيك؟ قال: رأيتك تبكي فبكيت! قال: إني ذكرت قول الله -عزوجل-: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) (مريم:71)، فلا أدري أأنجو منها أو لا؟.

وعن نافع قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما : إذا قرأ هذه الآية: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) (الحديد:16)، بكى حتى يغلبه البكاء.

وعن عمر رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: "أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف".

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، (متفق عليه).

وهذه عائشة رضي الله عنها قرأ عليها مسروق رحمه الله : (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) [الطور: 27] فبكت، وقالت : (رب مُنَّ عليَّ وقِني عذاب السموم) .

وورد أن عمربن عبد العزيز : كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قال: (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) (الشعراء:205-207). ثم يبكي وينشد:

نهارك يا مغرورسهوو غفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

تُسرُبما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سُربا للذات في الليل حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تكون البهائم

أخي المسلم :هل تذكر يومًا جرت فيه دموع عينيك وأنت تتلو كتاب الله تعالى ؟ [120]

فائدة مهمة : للقرآن الكريم تأثيره في النفوس حتى على خصومه :

فللقرآن روحانيةٌ خاصة، وسلطان قوي، وتأثير غير منكور، وتَقشَعِرُّ منه جلود الذين يَخشَون ربهم، ثم تَلِين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر الله.

1- تأثير القرآن الكريم في عمربن الخطاب رضي الله عنه :

لقد صح أن عمر - رضي الله عنه - قبل أن يُسلِم - جاء إلى أخته يُرِيد الفتكَ بها وبزوجها؛ لأنهما آمَنَا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومالاَ عن دين الأشياخ، وكفَرا بالأصنام، وانسلخا عن عبادة الأوثان، وبعد مشادَّة بينها وبينه، وبينه وبين زوجها كذلك، طلب منهما أن يأخذ ما عندهما من آيات الله؛ ليرى إلى أي مدى افتتنا بها، وحولتْهما عن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى.

120/ البكاء عند قراءة القرآن – الكلم الطيب ، ومقال : البكاء عند قراءة القرآن وسماعه – للشيخ أحمد فريد – موقع صوت السلف – بتصرف .

وهنالك يَأبَيَان عليه ذلك، وقالت له أخته: أنت نجس بكفرك الذي أنت عليه، ولا يرضى الله - سبحانه وتعالى - أن يمسه إلا المطهَّرون، فرغب إليهما أن يسمع منه شيئًا، فأسمَعه زوجُ أخته من أول سورة طه، حتى وصل إلى قوله - جل شأنه -: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى** ﴾ [طه: 14 - 16]، وحينئذٍ تطامن جامحه، ولان شاقُّه، وهدأت ثورته، وذهب غضبه، وسكن هادره، وسكت غليانه ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - ليُعلِن إليه إسلامه قائلا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) [121].

* **   * * * *   * **

2- تأثُّر الطُّفيل بن عَمْرٍو بالقرآن [122]:

تحكي لنا كتب السِّيرة قصَّةَ رجل من اليمن من قبيلة دَوس قَدِم مكَّة في العام الحادي عشر من النبَّوة، ألا وهو الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي رضي الله عنه، فاستقبله أهل مكَّة قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجلَّ تحيَّة وأكرم تقدير، وقالوا له: «إنَّك قَدِمْتَ بلادنا، وإنَّ هذا الرَّجلَ - وهو الذي بين أظهرنا - فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسِّحر يُفَرِّقُ بين المرءِ وابنه، وبينَ المرء وأخيه، وبين المرءِ وزوجه، وإنما نخشى عليكَ وعلى قومك ما قد حلَّ علينا، فلا تُكَلِّمْه، ولا تَسْمَعْ منه.

قال: فو اللهِ ما زالُوا بي، حتَّى أجمعتُ ألاَّ أسمعَ منه شيئاً، ولا أُكَلِّمَه حتَّى حشوتُ في أذنيَّ - حين غدوتُ إلى المسجد - كُرْسُفاً؛ فَرَقاً من أن يَبْلُغَني شيءٌ من قوله. قال: فغدوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يُصلِّي عند الكعبة، فقمتُ قريباً منه، فأبى اللهُ إلاَّ أن يُسمِعَني بعضَ قوله، فسمعتُ كلاماً حَسَناً، فقلتُ في نفسي: واثكل أمِّياه، واللهِ إني لرجل لبيب شاعر، ما يَخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعُني أن أسمع من هذا الرَّجل ما يقول؟ فإن كان ما يقولُ حَسَناً، قبلتُ، وإن كان قبيحاً، تركتُ.

121/ مقتبس من مقال سحر القرآن و أثره في النفوس - د. إبراهيم علي أبو الخشب – شبكة الألوكة الشرعية .

122/ تأثير استماع القرآن في أعدائه وخصومه - د. محمود بن أحمد الدوسري – شبكة الألوكة .

قال: (فمكثتُ حتَّى انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته، فتبعتُه حتى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلتُ: يا محمد! إنَّ قومَك قد قالُوا لي: كذا وكذا، فَواللهِ ما بَرِحُوا يُخوّفوني أمرَك حتَّى سددتُ أذنيَّ بِكُرْسُفٍ لئلاَّ أسمعَ قولَك، ثمَّ أبى الله إلاَّ أن يُسمِعَنيه، فسمعتُ قولاً حَسناً، فاعرضْ عليَّ أمرك، فعرضَ عليَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلامَ، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه، فأسلمتُ، وشهدتُ شهادةَ الحقّ)[123].

* **　　* * * *　　* **

3- تأثُّر جُبير بن مُطعَم بالقرآن:

عن جُبير بن مُطعَم رضي الله عنه، قال: «سَمِعْتُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذه الآية: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [الطور: 35 - 37]. كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيْرَ» [124].

قال ابن كثير رحمه الله: وكان جُبَيْرٌ - لمَّا سمع هذا - بعدُ مشركاً على دين قومه، وإنَّما كان قَدِمَ في فداء الأُسارى بعد بدر، وناهيك بمن تُؤَثِّرُ قراءتُه في المشرك المصرِّ على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوعٍ من القلب [125].

4- حادثة سجود المشركين مع المسلمين:

أيها المسلمون.. إذا كنَّا قد عرضنا لأثر القرآن على أعدائه في صور فردية، تصدر عن أفراد بعينهم، فليس أبلغ ولا أعمق في الدَّلالة على مدى أثر القرآن على سامعيه من أعدائه من تلك الصُّورة الجماعيَّة، حيث ضرب لنا كفَّار قريش مثلاً واقعيّاً يبيّن أثر القرآن العظيم على قلوبهم - رغم كفرهم - فلم يتمالكوا أنفسهم عندما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «النَّجم» وسجد، فسجدوا وهم مشركون، وهم يمارون في الوَحْي والقرآن، وهم يجادلون في الله ورسوله، وإنَّما سجدوا تحت وطأة القرآن، وسلطانه على الكون كلِّه.

123/ زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 624. 625). و انظر: السيّرة النبوية، لابن هشام (2/ 226)؛ ودلائل النبوة، للبيهقي (5/ 360)؛ ودلائل النبوة، للأصبهاني (1/ 212)؛ وتاريخ مدينة دمشق (25/ 13)؛ والبداية والنهاية (3/ 99).

124/ رواه البخاري، كتاب التَّفسير، باب: سورة الطُّور.

125/ فضائل القرآن – لابن كثير- (ص 194).

فعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «سَجَدَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم بالنَّجْمِ، وسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمونَ والمُشْرِكُونَ، والجِنُّ والإِنْسُ» [126].

* **   * * * *   * **

126/ رواه البخاري، كتاب التَّفسير، باب: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم: 62]،

المبحث السادس

كيف نكتسب تزكية النفس ومكارم الأخلاق بتلاوة القرآن الكريم

مدخل .

المطلب الأول : أهمية الالتزام بمكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة .

المحور الأول : بعض الآيات التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق .

المحور الثاني : بعض الأحاديث النبوية التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق .

المطلب الثاني : بعض الأخلاق الإسلامية التي حث في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : بعض الآداب الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم .

مدخل

سبق لنا الحديث حول موضوع هذا المبحث في رسالتين سابقتين من هذه السلسلة المباركة – إن شاء الله تعالى – فقد تطرقنا للحديث عنه في رسالة فرح العبد الأواه بمعرفة الله حيث بينت فيها أثر معرفة الله تعالى على قلب المسلم وجوارحه ، ثم جرى للحديث مرة أخرى في رسالة تشويق القلوب إلى ذكرعلام الغيوب حيث تبين لنا كيفية الوصول إلى تزكية النفس وروحانيات الذكروعلاماته ، وكنا في هاتين المرتين نتحدث عما يجب على المسلم من تزكية نفسه بينه وبين خالقه ولكن أحببنا العودة في هذه الرسالة إلى الحديث عن تزكية النفس لكن من ناحية أخرى لا تقل أهمية ألا وهي الأدب مع الآخرين .

ولا يخفى عليك أخي القارئ الكريم أن من علامات الإفلاس عدم التأدب مع الناس وقال بعض العلماء: (إن الدِّين كُلُّه هو الخُلقُ) ونحن نعيش أزمةَ أخلاقٍ في و اقعنا، سواءً على مستوى العلاقات الزَّوجية، أو المصلِّين في المساجد، أو الطُّلاب والمدرِّسين، أو الموظَّف والمراجعين، أو الجاروجير انه، بل بين طلبة العلم والعلماء والأقران، وكما أن طالبنا بحسن عبادته فقد أمرنا بحسن الخلق مع عباده .

ومن هنا سيدورهذا المبحث حول ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

أهمية الالتزام بمكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة

لا يخفى على مسلم أن القرآن الكريم يهدي للتي أقوم في كل شيء سواء كان في الأخلاق أو الصفات أو السلوك، بل في الأمور كلها، والله تعالى يقول: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء: 9]. وسوف نستعرض في محورين بعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية تدعو إلى تهذيب النفوس والتخلق بالأخلاق الحسنة :

المحور الأول : بعض الآيات التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق [127] :

الآية الأولى : قال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: 164].

ولما كان تفسير الآية يحتاج إلى كلام طويل أحببت أن ألخص بعضه في هذه النقاط ، مسترشدا بكلام المفسرين [128] :

قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ): يُذكّر -تعالى- عباده المؤمنين ما أنعم عليهم من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله المبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس و أفعال الجاهلية.

قوله تعالى (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) : اعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين : في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به .

وبعبارة أخرى : للنفس الإنسانية قوتان ، نظرية وعملية ، والله تعالى أنزل الكتاب على محمد عليه السلام ، ليكون سببا لتكميل الخلق في هاتين القوتين، فقوله : (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) **إشارة إلى كونه مبلغا لذلك الوحي من عند الله إلى الخلق .**

* **   * * * *   * **

127/ أثر القرآن الكريم في تهذيب النفوس – للدكتور عبد الله بن محمد المطلق - موقع طريق الإسلام - بتصرف

128/ تفسير ابن كثير والرازي والسعدي وتفسير محمد أبو زهرة المسمى بزهرة التفاسير.

قوله تعالى: (وَيُزَكِّيهِمْ) ويزكيكم أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية .

قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) : تعليم الكتاب : إشارة إلى ظواهر الشريعة وتعليم والحكمة : إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها ،

وقال بعضهم : تعليم الكتاب هو تعليمهم ما اشتمل عليه من أحكامه ببيان ما عساه يكون فيه من نصوص تعلو على مداركهم، وتفصيل المجمل فيه، وتطبيقه عليهم، فتعليم علم الكتاب غير تلاوته إذ تلاوته قراءته مرتلا مفهوما، وتعليمه بيان أحكامه، فقد أمر بالصلاة، والنبي صلى الله عليه وسلم - علمها، وأمر بالحج، والنبي - صلى الله عليه وسلم علمه، وهكذا.

وقيل: إن تعليم الكتاب هو تعليم المؤمنين الكتابة ونقلهم من الأمية إلى العلم، فتعليم العلم في ذاته غاية من غايات الإسلام، ولذا كانت أولى آيات القرآن: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

وتعليم الحكمة، فسره الشافعي بأنه تعليم السنن العملية، ويصح أن تفسر الحكمة بما هو أعم من ذلك وأشمل، فتشمل العلم بأسرار الكون، وأسرار النفوس، والسلوك القويم الذي يسدد الخطى في الدنيا، ويرضي الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: (إِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) :ثم بين تعالى ما تتكمل به هذه النعمة ، وهو أنهم كانوا من قبل في ضلال مبين ، لأن النعمة إذا وردت بعد المحنة كان توقعها أعظم ، فإذا كان وجه النعمة العلم والإعلام ، ووردا عقيب الجهل والذهاب عن الدين ، كان أعظم ، ونظيره قوله : (ووجدك ضالا فهدى) [الضحى : 7] .

أي: إن حال الناس، وخصوصا العرب، أنهم كانوا من قبل بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - في ضلال واضح بين، تنفر منه العقول المستقيمة وتأباه الأذواق السليمة، ألم يكن العرب في عمياء من أمورهم متنابذين متدابرين يئدون بناتهم؛ وألم تكن فارس في اضطراب ونزاع

و انحلال؛ وألم يكن الرومان ومن أخضعوهم في طغيان واضطراب عقائد؛ كل ذلك كان وقت أن بزغ فجر الإسلام، اللهم أتم علينا نعمة الهداية والتوفيق.

* **   * * * *   * **

الآية الثانية : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) سورة الأعراف(199)

جاء في تفسير الألوسي: (خُذِ الْعَفْوَ) أي: ما عفا، وسهل، وتيسر من أخلاق الناس، وإلى هذا ذهب ابن عمر، و ابن الزبير، وعائشة، ومجاهد -رضي الله تعالى عنهم-، وغيرهم، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن آدم مرفوعًا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

والأخذ مجاز عن القبول، والرضى، أي: ارض من الناس بما تيسر من أعمالهم، وما أتى منهم، وتسهل من غير كلفة، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم؛ حتى لا ينفروا.

وجوز أن يراد بالعفو: ظاهره، أي: خذ العفو عن المذنبين، والمراد: اعف عنهم، وفيه استعارة مكنية؛ إذ شبه العفو بأمر محسوس يطلب فيؤخذ، وإلى هذا جمع من السلف. ويشهد له ما أخرجه ابن جرير، و ابن المنذر، وغيرهما عن الشعبي قال: لما أنزل الله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ... إلى آخره، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما هذا يا جبريل؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالم؟ فذهب ثم رجع، فقال: إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.

وعن ابن عباس: المراد بالعفو: ما عفي من أموال الناس، أي: خذ أي شيء أتوك به، وكان هذا قبل فرض الزكاة.

وقيل: العفو: ما فضل عن النفقة من المال، وبذلك فسره الجوهري، وإليه ذهب السدي. فقد أخرج أبو الشيخ عنه أنه قال: نزلت هذه الآية، فكان الرجل يمسك من ماله ما يكفيه، ويتصدق بالفضل، فنسخها الله تعالى بالزكاة.

(وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) أي: بالمعروف المستحسن من الأفعال؛ فإن ذلك أقرب إلى قبول الناس من غير نكير. وفي لباب التأويل: أن المراد: وأمر بكل ما أمرك الله تعالى به، وعرفته بالوحي.

(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ) أي: ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عليهم، وأغض بما يسوؤك منهم.

وعن السدي رحمه الله تعالى : أن هذا أمر بالكف عن القتال، ثم نسخ بآيته، ولا ضرورة إلى دعوى النسخ في الآية، كما لا يخفى على المتدبر، وقد ذكر غير واحد أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف:199]، قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق. وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية [129].

* ** * * * * * **

المحور الثاني : بعض الأحاديث النبوية التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق :

قال أهل العلم : أفضل الطرق وأسهلها وأيسرها للتحلي بالأخلاق الحسنة هو الاقتداء بالنبي- صلى الله عليه وسلم- الذي كان خُلقه القرآن، وكان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، يُعطي مَنْ حَرَمَه، ويعفو عمَّن ظلمه، ويصل مَنْ قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، وهذه أصول الأخلاق، فعلينا الاقتداء به في سائر أحواله، إلا ما خصه الله به، فذلك خاص به لا يشاركه فيه غيره كالنبوة، والوحي، ونكاح أكثر من أربع زوجات، وحرمة نكاح نسائه بعده، وحرمة الأكل من الصدقة، وعدم إرثه ونحو ذلك مما هو معلوم.

ومن هنا نريد أن نذكِّر ببعض الأحاديث النبوية التي تحث على مكارم الأخلاق وجميل الصفات:

1- كان سيد الثقلين عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن الكريم، فعن سعد بن هشام رحمه الله قال: سألت عائشة رضي الله عنها : أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: **(كان خلقه القرآن)** رواه مسلم (746).

2 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) رواه أحمد (381).

قال ابن عبد البر رحمه الله : يدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعث ليتممه صلى الله عليه وسلم-، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر

129/ تفسير آية: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" - رقم الفتوى: 411481 –إسلام ويب .

والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَ إِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: 90].

3- وعن عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قَالَ: لَمْ يَكُنْ رسولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً. وكانَ يَقُولُ: (إِنَّ مِن خِيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخلاقاً) متفقٌ عَلَيْهِ.

4- عن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم عَنْ أكثرِ مَا يُدْخلُ النَّاس الجَنَّةَ؟ قَالَ : (تَقْوى اللَّهِ وَحُسنُ الخُلُق) وَسُئِلَ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ:(الفَمُ وَالفَرْجُ). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

5- عن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها، قالت سَمِعتُ رسولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقول: (إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القَائمِ) رواه أَبُو داود.

6 - عن أبي أُمَامَة الباهِلِيِّ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (أَنا زَعِيمٌ بِبَيتٍ فِي رَبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ. وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبيتٍ فِي وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وإِن كَانَ مازِحاً، وَبِبيتٍ فِي أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ) حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإِسناد صحيح.
الزَّعِيمُ : الضَّامِنُ.

7- عن جابر رضي اللَّه عنه أن رَسُول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: (إِن مِنْ أَحبِّكُم إِلَيَّ، وَ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يومَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أخلاقاً. وإِنَّ أَبْغَضَكُم إِلَيَّ وَ أَبْعَدكُم مِنِّي يومَ الْقِيامةِ، الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ) قالوا: يَا رسول اللَّه قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ:(المُتَكَبِّرُونَ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الثَّرْثَارُ: هُوَ كَثِيرُ الكَلامِ تَكلُّفاً.وَالمُتَشَدِّقُ : المُتطاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيتَكَلَّمُ بِملءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لكلامِهِ،وَالمُتَفَيْهِقُ : أَصلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وهُو الامْتِلاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِب بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفاعاً، وإِظْهَاراً للفَضِيلَةِ عَلى غيَرِهِ.

وروى الترمذي عن عبد اللَّه بن المباركِ رحِمه اللَّه فِي تَفْسِيرِ حُسْنِ الخُلُقِ قَالَ: هُوَ طَلاقَةُ الوجه. وبذلُ المَعرُوف، وكَفُّ الأَذَى.

* **   * * * *   * **

المطلب الثاني

بعض الأخلاق الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم

نجد في القرآن الكريم عددا من المواضع التي تشير إلى ما يكوِّن الشخصية الإسلامية والأخلاق مكون أساسي لها وبه تكوينا متكاملا في تعاملها مع الله تعالى ومع عباده [130] ،وأكتفي بالإشارة إلى موضعين فقط [131] :

الموضع الأول : في سورة الإسراء جملة من الآيات الكريمة التي تحث على التخلق بالأخلاق الحسنة التي لها علاقة مباشرة بتهذيب النفوس وطهارتها، ومنها بر الوالدين، والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل، والنهي عن التبذير، وعدم قتل الأولاد، والبعد عن قربان الفاحشة، وقتل النفس، وقربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وفيها المحافظة على العدل، وأن يراقب الإنسان ربه فيما يسمع ويبصر وأن يوثق الإنسان علاقته بربه، وأن يحذر من الكبر والتعدي على عباد الله، وغير ذلك مما له أبلغ الأثر في تهذيب النفوس وإصلاحها. والمسلم إذا تدبر الأوامر والنواهي الواردة في القرآن الكريم وعمل بمقتضاها فإن نفسه تسمو ويحظى بمحبة الله تعالى ومحبة عباد الله الصالحين، وتلك درجة طيبة ينال بها صاحبها خيرات كثيرة ومناقب جمة. فندعو إخواننا وأبناءنا وبناتنا إلى بذل المزيد من العناية بالقرآن الكريم والمحافظة على فرائض الله وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الناس والعفو عمن أساء والبعد عن الأخلاق السيئة التي حذر القرآن الكريم منها، ومن أشدها التهاون بالصلاة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وارتكاب المظالم والحقد والحسد والسخرية والبعد عن سفاسف الأمور وغيرها.

وهي الآيات (23-38) ابتداءً من قوله تعالى **(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).**

130/ مقال : أدب المعاملة في ضوء القرآن الكريم – موقع البلاغ ، و أثر القرآن الكريم في تهذيب النفوس – للدكتور عبد الله بن محمد المطلق - موقع طريق الإسلام –(بتصرف) .

131/ ومن تلك المواضع ما يعرف بالوصايا العشر من أواخر سورة الأنعام ، وأوائل سورة المؤمنون و آيات أواخر سورة الفرقان وتسمى بصفات عباد الرحمن وقد يسر الله لي شرحها في كتاب كبير بعنوان : منح الكريم المنان في شرح صفات عباد الرحمن . (وهو منشور في عدد المواقع في الانترنت منها صيد الفوائد) .

إلى قوله تعالى : (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) .

* **   * * * *   * **

الموضع الثاني : في سورة البقرة :قال تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [سورة البقرة (177)].

فهذه الآية تشير إلى ملامح الشخصية الإسلامية التي ترتكز على جانبين اثنين [132] :

الجانب الإيماني التعبدي : وهو الاعتقاد وأداء العبادات ، والجانب الخُلقي : وهو الممارسة في السلوك الذاتي وفي العلاقة مع الناس ومع المواقف الصعبة في الحياة.

وبصورة عامة، فإنّ الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الناس هو الأسلوب الأمثل والأحسن، وهو الأسلوب الذي يعود بانعكاسات إيجابية على العلاقات الإنسانية. ولا يزال المسلم الحق الملتزم بدينه، المحافظ على أخلاقه الإسلامية، شامةً بين الناس وقدوة حسنة لهم، يحبه كلُّ من يخالطه، ويُسَرُّ له كل من يجالسه. تخلُّقه بآداب الإسلام ومكارم الأخلاق جعل منه نموذجاً حياً للشخصية الاجتماعية الرّاقية المهذبة النقية.

وما انتشار الإسلام في جميع أنحاء المعمورة إلا دليلٌ واضحٌ على انعكاس الأخلاق الإسلامية على العلاقات في المجتمعات الإنسانية، حتى إنَّ الذين دخلوا في هذا الدين تأثّراً بهذه الأخلاق، يتجاوز عددهم أضعاف من دخلوه عن طريق السيف. بل إنّ السيف –في كثير من الأحيان- لم يكن إلا لإزالة العقبات التي تحول بين الناس والالتقاء مع صفاء الإسلام وسماحة أخلاقه، وما أنْ تضع الحرب أوزارها، ويتعامل المسلمون مع أعدائهم، وتنساب العلاقات فيما بينهم، حتى تبهرهم عظمة هذا الدين، وسُموّ أخلاقه، فيتحولوا من أعداء محاربين للإسلام وأهله، إلى مناصرين للحق مدافعين عنه.

132/ مقال : أدب المعاملة في ضوء القرآن الكريم – موقع البلاغ – (بتصرف)

المطلب الثالث

بعض الآداب الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم

كثيرة هي الآيات القرآنية التي تحث على الالتزام بالأدب في التعامل مع الآخرين، وسنحاول فيما يلي أن نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر[133] :

1/ النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل :

حثَّ القرآن الكريم على الابتعاد عن فضول الكلام وعدم الخوض في الباطل، والالتزام بهذا التوجيه القرآني مِنْ شأنه أنْ يَصُبَّ في بناء مجتمعٍ متماسكٍ يبتعد فيه الناس عن الثرثرة والإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه. قال تعالى: (**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)[سورة النساء(114)].

فهذه الآية القرآنية تُوجِّه المؤمنين إلى أنْ يكون كلامُهم هادفاً، فإنَّ من شأن المسلم الواعي ألا يخوض فيما لا يعنيه، وألا يُكثر من الكلام المباح غير الهادف والذي لا خير فيه، فإنَّ الوقت أثمن من إضاعته في فضول الكلام وهَذَرِه.

وكثرة الكلام تؤدي إلى قسوة القلب، فقد وَرَدَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي**) رواه الترمذي وقال: حسن غريب .

ولا شكَّ أنَّ قسوة القلب مع الله تؤدي إلى قسوته مع الناس، مما يُلقي بظلاله السيئة على الاتصال بالآخرين، وعلى العلاقات الإنسانية بشكل عام.

* **   * * * *   * **

2/النهي عن السب والفحش في القول :

للسب واللعن والفحش في القول أضرار كثيرة، ففيها إيذاءٌ للمسبوب، و إيغارٌ للصدور، وقَطْعٌ للعلاقات والمودَّات، وزرعٌ لبذور الفتنة والشقاق، وذلك لما تجلبه من العداوة والبغضاء، وتجرُّه

133/ مقال : أدب المعاملة في ضوء القرآن الكريم – موقع البلاغ – (بتصرف)

من المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العو اقب وأسوأ النتائج، فتتفكك عُرى المحبة، وتنقطع روابط الأُلْفة، ويحل الفساد محل الصلاح، والخصام محل الوئام، فتسوء الأحوال وتضطرب الأعمال.

ونتيجة لهذه الآثار السيئة التي يتركها السباب وفحش القول على العلاقات الإنسانية، جاء التوجيه القرآني ليحث على تجنب النطق بالألفاظ البذيئة، والكلمات المبتذلة. قال تعالى: (**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**)[سورة النساء: الآية 148].

وفي آية أخرى نصَّ القرآن الكريم على أن إيذاء المؤمنين بالقول السيئ دون وجه حق، يترتب عليه إثم عظيم. قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُّبِينًا**)[**سورة الأحزاب: الآية 58**].

*** **** ***

3/ الحث على الصَّمت وحُسْنِ الإستماع :

الصمت وحُسن الإستماع مهارة لابدّ من إتقانها، لما لذلك من أهمية كبرى في بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات، وهي وسيلة مُجدية في إيجاد الفهم المتبادل بين الناس، ومساعدتهم في حلِّ مشكلاتهم، والتخفيف من آلامهم، وما يحسون به من ضيقٍ وحزن.

وقد نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة حُسن الاستماع. قال تعالى: (**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**) [سورة الزمر: الآية 17]. **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن ويَنْكَفُّ عن القبيح فلا يتحدث به .

جاء في كتاب «فن التفاوض» لوليام أوري ما نَصُّهُ: "إنَّ الإنصات عظيم الفائدة، فهو يفتح لك نافذة لترى ما يدور في عقل الطرف الآخر، كما يجعل الطرف الآخر على استعداد للإنصات إليك.

فلو أنَّ الطرف الآخر كان غاضباً أو قلقاً، فلماذا لا تحاول أنْ تستمع إلى شكواه. لا تقاطعه حتى لو شعرتَ أنه مخطئ، أو أنه يهينك. ويمكنك أنْ تُشْعره بإصغائك إليه عن طريق تركيز نظرك عليه، أو هزّ رأسك من آنٍ لآخر، أو ترديد عبارات مثل: «نعم، نعم» أو «أنا أفهم ما تقصده» وعندما ينتهي

من حديثه، اسْأَلْه بهدوء إن كان لديه شيء آخر يريد أن يضيفه، وشجعه على أنْ يُفضي إليك بكل ما يضايقه، بأن تقول له مثلاً: «من فضلك استمر في حديثك» أو «ماذا حدث بعد ذلك؟»[134] .

ومن حُسن الاستماع أنه إذا كان السامع عالماً بكلام المتحدث، فإنه ليس من الأدب مقاطعته ومداخلته فيه، بغرض الإظهار للآخرين معرفة هذا الحديث والعلم به. قال عطاء بن أبي رباح: إنَّ الشاب ليحدثني بحديث، فأستمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعتُه قبل أنْ يولد [135].

ومن حُسن الأدب أيضاً، أنه إذا أشكل على المستمع شيء من كلام محدِّثه، فإن عليه أنْ يصبر حتى الانتهاء من الحديث، ثم يستفهم منه بأدب ولطف وتمهيدٍ حَسَنٍ للاستفهام، ولا يقطع عليه كلامه، فإنَّ ذلك مخلٌّ بأدب الاستماع، إلا إذا كان المجلس مجلس دراسة وتعلُّم، فإن له حينئذٍ شأناً آخر، ويحسن فيه السؤال والمناقشة عند تمام الجملة أو المعنى الذي يشرحه المعلِّم، وينبغي أنْ تكون المناقشة فيه بأدب وكياسة [136].

ومن الأدب في هذا السياق كذلك، أنه إذا سُئل شخصٌ عن شيء، فإنه لا يحسن بغيره أنْ يبادر إلى الإجابة، بل ينبغي أنْ لا يقول شيئاً حتى يُسأل عنه، فإنَّ ذلك أحْفَظُ للأدب وأرفع للمقام. رُوي عن مجاهد أنَّ لقمان قال لإبنه: إياك إذا سُئل غيرك أنْ تكونَ أنتَ المجيب، كأنكَ أصبتَ غنيمة، أو ظفرت بعطيَّة، فإنك إنْ فعلتَ ذلك، أَزْرَيْتَ بالمسؤول، وعَنَّفت السائل، ودَلَلْتَ السفهاءَ على سفاهة حلمك، وسوء أدبك [137].

* **   * * * *   * **

4/ الحث على خفض الصوت وعدم رفعه :

من توجيهات القرآن الكريم في الحث على الأدب مع الآخرين، الدعوة إلى خفض الصوت وعدم رفعه. ويظهر هذا التوجيه جَليّاً فيما جاء على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه. قال تعالى: **(وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)** [سورة لقمان: الآية 19].

134/ فن التفاوض - لوليام أوري - ترجمة: نيفين عزاب- القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، 1994م - ص (67- 68). نقلا عن : أدب المعاملة في ضوء القرآن الكريم – موقع البلاغ .

135/ الآداب الشرعية والمنح المرعية – لابن مفلح المقدسي - (2/ 118) .

136/ من أدب الإسلام – للعلامة عبد الفتاح أبو غدة – ص (65) .

137/ الآداب الشرعية والمنح المرعية - (2/ 118) .

قال الآلوسي رحمه الله : "والحكمة في غض الصوت المأمور به، أنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع، وفَهْمِه" .

وأدب خفض الصوت ينبغي مراعاته مع جميع المخاطبين، بغضّ النظر عن سِنّهم ومكانتهم، غير أنه يزداد تأكيداً مع ذوي المكانة والشأن، وعلى هذا جاء التوجيه القرآني بخفض الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**) [سورة الحجرات: الآية 2]. وكذلك في حضرة الوالدين، كما يُفهم من قوله تعالى: (**فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) [سورة الإسراء: الآيتان (23، 24)].

ولعلنا أحوج ما نكون إلى الهدوء وعدم رفع الصوت في الحوار الذي يجري مع المعارضين والمخالفين، فإنه يحسن بالمحاور ألا يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع. فإنَّ رفع الصوت لا يُقوّي حجة صاحبه قط، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية.

قال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعتُ أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته[138].

وقد وُجد بالخبرة والتجربة، أنَّ الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرارٍ وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم.

* **　　　* * * *　　　* **

5/ الحث على طلاقة الوجه وعدم العبوس :

تُعدُّ طلاقة الوجه لوناً من ألوان التحبب إلى الناس، ووسيلةً مؤثرةً من وسائل التقرّب إلى الآخرين ومداراتهم. قال تعالى موجهاً رسوله الكريم إلى هذا السلوك: (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**)[سورة الحجر: الآية 88.]؛ **أي تواضع لهم وأَلِنْ جانبك**، وعامل أهل الإيمان بالإحسان والرفق والحنان.

138/ تهذيب الأسماء واللغات – للإمام النووي - بيروت: دار الفكر، ط1، 1996م - ص84.

كما حذَّره سبحانه من الفظاظة والغلظة والقسوة والشدة باعتبارها من المنفِّرات والمفرِّقات والمذهبات لأخوَّة الإيمان، فقال سبحانه: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)[سورة آل عمران: الآية 159.].

والمطَّلع على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنّته الشريفة، يجد بما لا يدع مجالاً للشك، أنه كان القدوة في حُسن الإخاء وجميل المعاشرة وطلاقة الوجه. فنظراً لأهمية هذا الخُلُق الرفيع، وما انطوى عليه من الآثار الجليلة في نفوس الناس، وكونه من أبرز أسباب تجمع القلوب، وإشاعة الألفة والمحبة والوداد بين الإخوان، وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يحث على طلاقة الوجه في لُقيا المؤمنين بعضهم بعضاً. فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروف شيئاً ولو أنْ تَلْقَى أخاك بوجْهٍ طَلِق) رواه مسلم . وقال: (تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة) رواه الترمذي .

* ** * * * * * **

6/ النهي عن النجوى :

النجوى: هي كلام السرِّ الذي يكون بين اثنين أو أكثر، في تخافت وتهامس، بعيداً عن أسماع الناس ويبين القرآن الكريم أنَّ النجوى من صفات المنافقين الذين يَجبنون دائماً عن التصريح بآرائهم ومعتقداتهم، ويعتادون على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. قال تعالى: (أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[سورة المجادلة: الآيات (7- 10)].

وفي النهي عن النجوى دليلٌ على حرص الإسلام على مراعاة شعور الآخرين، إذ إنَّ النجوى على هذه الصورة تؤدّي إلى سوء الظن بالآخرين وجرح مشاعرهم، لما قد يوحيه هذا التصرف لهم بأنهم ليسوا أهلاً للمشورة أو الصحبة.

* ** * * * * * **

7/ النهي عن السخرية والتنابز بالألقاب :

الناظر في أثر السخرية والتنابز بالألقاب على العلاقات الإنسانية، يجد أنَّ سُخرية الإنسان من أخيه الإنسان معول هدَّام يسعى حثيثاً في تخريب العلاقات الإنسانية، وتمزيق الأخوة الإيمانية شرَّ ممزَّق، حيث يستعلي المرء بماله أو حسبه أو جاهه، مفاخرة ومباهاة وتحقيراً للآخرين، دون أن يُدرك إمكانية تفوّقهم عليه بمواصفات لا تتوافر فيه، وهذه كلها أسلحة إبليس يضعها بين أيدي الخلائق ليفرّق بينهم، وليزرع العداوة والبغضاء في قلوبهم.

ونَهى الله تعالى المؤمنين عن السخرية من الآخرين مهما كانت صفاتهم وأوضاعهم، فلعلَّ من يُسخَر منه ويُنظر إليه نظرة احتقار واستخفاف، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من الساخر الذي يعتقد في نفسه الكمال، ويرمي أخاه بالنقص والعيب. قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**)[سورة الحجرات: الآية 11]. وقال تعالى: (**ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) [سورة الحجرات: الآية 11].

ويستوقفنا في هذه الآية قوله تعالى: (**ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**) فكيف يصحُّ هذا التعبير علماً بأن الإنسان يلمز غيره لا نفسه؟ **إنَّ في هذا التعبير القرآني تذكيرٌ للمؤمنين بأنهم وحدة متماسكة كنفس واحدة، فمن عاب غيره من المؤمنين، فكأنما يعيب نفسه. وفي هذا إشارة إلى مستوى العلاقة التي يجب أن تسود بين المسلمين. إنها الأخوَّة التي تجعل من الحفاظ على حقوق الأخ حفاظاً على حقوق النفس.**

فالقرآن الكريم يؤسس لقواعد اللياقة الاجتماعية، والأدب النفسي للتعامل في المجتمع الإنساني، فالمجتمع الفاضل من وجهة النظر القرآنية، لا بدّ وأن يقوم على أسسٍ من الأدبيات الذوقية، التي ينبغي أنْ تَحكم العلاقات السائدة بين أبنائه. إنه المجتمع الذي يترفَّع أبناؤه عن الهمز واللمز والسخرية، ويكون الأدب هو الخُلق الذي يحكم تعاملهم فيما بينهم.

*** **** ***

8/ النهي عن الغيبة والنميمة :

من الأمور التي وجَّه القرآن الكريم لإجتنابها لمنافاتها أدب المعاملة، الغيبة والنميمة. قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**) [سورة الحجرات: الآية 12]. وقال: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)[سورة القلم: الآيتان (10، 11)].

والهدف من هذه التوجيهات، هو تنقية المجتمع الإسلامي من شوائب الخسَّة والضِّعة، وبناء العلاقات الاجتماعية على أسس المودَّة والإخاء والنصيحة، وشغل الوقت بالإيجابيات النافعة، وذِكرُ هذه الأشياء التي يُعاب بها الإنسان يُساعد على شيوعها، والله سبحانه لا يحبّ أن تشيع هذه السلبيَّات في حياة الناس. ولا يخفى ما ينشأ من آثارٍ سيئة في العلاقات بين الناس نتيجة سماع هذه المعايب، وما يُثار من ضغائن وأحقاد عندما يُنقل هذا الكلام إلى الطرف الآخر. وقد سعى الإسلام إلى إقامة سياجٍ حول حُرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم، وتعليم الناس كيف يطهّرون مشاعرهم وضمائرهم في أسلوب متفرّدٍ عجيب.

*** **** ***

المبحث السابع

نماذج لمشاهير أسلموا وأخرون تابوا ببركة القرآن الكريم

مدخل : القوة الروحية في القرآن وتأثيرها على مختلف الأنماط البشرية .

المطلب الأول : مشاهير غربيون أسلموا ببركة القرآن الكريم .

المطلب الثاني : مسلمون كانوا غافلين وتابوا القرآن الكريم .

مدخل

القوة الروحية في القرآن وتأثيرها على مختلف الأنماط البشرية

قبل ذكر تلك النماذج أقول لسنا في حاجة إلى التذكير بأن القرآن غير حياة الصحابة والسلف الصالح في جميع نواحيها وصروفها ولكن اعجبتني عبارات قالها الأديب الكبير مصطفى صدق الر افعي- رحمه الله- صورفيها تأثير القرآن في حياتهم رضي الله عنهم فقال :

«وأنت إذا تدبَّرت هذه القوة الروحية في آداب القرآن الكريم، واعتبرتها بمأتاها في الطباع ومساغها إلى النفوس، واشتمالها على سنن الفطرة الإنسانية، فإنك تتبين من جملتها تفصيل تلك المعجزة الاجتماعية التي نهض بها أولئك العرب، فنفضوا رمال الصحراء على أشعة الشمس في هذا الشرق كله، فحيثما استقرت منها ذرة رفع وراءها عربي، وليس من دليلٍ في التاريخ على أن هذه الأرض شهدت من خلق الله جيلاً اجتماعيًّا كذلك الجيل الأول في صدر الإسلام حين كان القرآن غضًّا طريًّا، وكانت الفطرة الدينية مو اتية، وكانت النفوس مستجيبة على أنه جيلٌ نَاقَضَ طباعه، وخَالَفَ عاداته، وخَرَجَ مما ألف، وخلق على الكبر خلقًا جديدًا.

ومع ذلك فإن الفلسفة كلها والتجارب جميعًا والعلوم قاطبةً لم تنشئ جيلاً من الناس ولا جماعةً من الجيل ولا فئةً من الجماعة كالذي أخرجته آداب القرآن وأخلاقه من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في علوِّ النفس، وصفاء الطبع، ورقة الجانب، وبسط الجناح، ورجاحة اليقين، وتمكين الإيمان إلى سلامة القلب، وانفساح الصدر، ونقاء الدخلة، وانطواء الضمير على أطهر ما عسى أن يكون في الإنسان من طهارة الخلق، ثم العفة في مذاهب الفضيلة من حسن العصمة، وشدة الأمانة، وإقامة العدل، والذلة للحق، وهلم إلى أن نستوفي الباب كله، وهذا على كثرةِ عديدهم، وترادف تلك الآداب فيهم وتظاهرها على جميعهم واستقامتهم لها بأنفسهم.

وإنما يكون مثل الرجل الواحد منهم في الدهر الطويل وفي الجيل بعد الجيل، وإنه على ذلك ليكون في الأرض في درّة الفلك، بل يحمل هذه الأرض مثال السماء؛ لأنه في نفسه مثال الملك» ا.هـ .

* **   * * * *   * **

وقال باحث آخر يصور التأثير القرآني في جيل الصحابة رضي الله عنهم :

فهؤلاء الصحابة الذين عُجنوا بروح القرآن وتشكلت أنفسهم حسب مبادئه السماوية، أي أصبحوا من ناحية الروح والمعنى ترجمانًا للقرآن، استطاعوا تحقيق المستحيلات وفتحوا به طرق الخلود أمام الأرواح الميتة، وغيروا وجه الدنيا، ونقلوا الإحساس بلذة عالم الروح إلى المجتمعات التي احتكوا بها وتعرفوا عليها، وكسروا الأقفال الموجودة على الأفكار وفوق الأفواه، ورفعوا الإنسان مرة أخرى إلى المرتبة الرفيعة التي رفعه الله إليها وشرفه بها، وقدموا نظرة جديدة وتفسيرًا جديدًا لموقع الإنسان في الكون بين الموجودات، وركزوا الأنظار على السر العميق الموجود بين الأوامر التكوينية وبين القواعد الشرعية، شارحين وموضحين الغاية والحدود النهائية للقلب والإرادة والأحاسيس والمشاعر، ومحركين وباعثين أصول وأسس القيم الكامنة والنسبية الموجودة في روح الإنسان، لكي يوجهوا الإنسان العادي إلى طريق الإنسان الكامل، فنجحوا في جعل الإنسان يحس في كل ما يقع بصره عليه أو يصل إليه بأحاسيسه، أو يحس به في قلبه أصابع الإرادة والقدرة الإلهية اللانهائية، أي ربط كل شيء وإرجاعه إلى صاحبه الأصلي.ا.هـ .

* **　　* * * *　　* **

وفي عصرنا هناك كثيرون جدا قد تأثر بالقرآن لأن فضل الله تعالى واسع وعطاؤه مستمر ، فلذا حرصت على أن أذكر في ختام هذا الفصل قصص الذين أثر فيهما القرآن تأثيرا مباشرا فحول حياتهم تحولاً كاملاً من الكفر إلى الإيمان أو من البدعة إلى السنة أو من المعصية إلى الطاعة ومن الفجور إلى البر ومن مساوئ الأخلاق إلى محاسنها .

فإلى قصصهم على بركة الله تعالى سائلنه تعالى لنا ولهم وللمسلمين أجمعين حسن الخاتمة ودخول الجنان برفقة سيدنا محمد خير الأنام عليه الصلاة والسلام .

المطلب الأول

مشاهير غربيون أسلموا ببركة القرآن الكريم

حسب الإحصائيات الفرنسية فإن المعدل المتوسط للمعتنقين للإسلام في فرنسا هو 40 ألف شخص سنوياً . وإليك نماذج ممن أسلوا قريباً [139] :

القصة الأولى : اعتناق "موريس بوكاي" الجراح الفرنسي المسيحي المشهور للإسلام

موريس بوكاي شغل منصب رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس وهو أشهر جراح فرنسي في العصر الحديث.

قصة إسلامه: كان "موريس بوكاي" المسئول الأول عن دراسة المومياء الفرعونية- جثة فرعون- فقد طلبت فرنسا من مصر استضافة المومياء إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومُعالجة وترميم للجثة، ومحاولة معرفة سِر الفراعنة في التحنيط.

كان اهتمام "موريس بوكاي" مُنصباً على كيفية موت هذه المومياء، وبعد فحص جثة فرعون والملح العالق بها تبين له أن فرعون مات غرقاً، وأنه قد تم استخراج جثة فرعون بعد غرقه، ليقوموا بتحنيطه، لكن الغريب هو بقاء هذه الجثة سليمة أكثر من غيرها.

علم "موريس بوكاي" أن قرآن المسلمين يذكر غرق فرعون ونجاة جثته بعد موته، ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا في هذا العصر الحديث وبالوسائل الحديثة، وكيف يكون هذا وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام 1898م ميلادية، بينما القرآن نزل قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام.

ذهب "موريس بوكاي" إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهناك كان أول حديث تحدثه معهم عمَّا اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحد العلماء المسلمين وفتح له المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى: {**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**} [يونس:92].

139- مقال : بشهادتهم .. القرآن أقوى من فرنسا القرآن أقوى من فرنسا -محمد عبد الرحمن صادق -موقع بصائر.

هنا أعلن "موريس بوكاي" إسلامه، وظل عشر سنوات يدرس تطابق الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم، فلم يجد تناقضاً واحداً وألَّف كتابه "التوراة والأناجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث" الذي لاقى رواجاً كبيراً وتمت ترجمته لسبع عشرة لغة منها العربية.

من أشهر مقولات "موريس بوكاي": "فالقرآن فوق المستوى العلمي للعرب، وفوق المستوى العلمي للعالم، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة، وفوق مستوانا العلمي المتقدم في عصر العلم والمعرفة في القرن العشرين ولا يمكن أن يصدر هذا عن أمِّي وهذا يدل على ثبوت نبوة محمد وأنه نبي يُوحى إليه".

ومن أقوال "موريس بوكاي" أيضاً: "لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم، طبعاً إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام".

* **   * * * *   * **

القصة الثانية : اعتناق فنانة الراب الفرنسية "ديامس" للإسلام :

الفنانة الفرنسية "ديامس" هي واحدة من أشهر مغنيات "الراب"، هذا الفن الذي يُعرف بالطابع الغنائي الصاخب.

عانت الفنانة "ديامس" من العديد من الأمراض النفسية وقطعت شوطاً طويلاً مع الأدوية المهلوسة والمصحات العقلية قبل أن تكتشف الهدوء والراحة النفسية التامة في الدين الإسلامي.

أكدت "ديامس" أن "قرار تحوُّلها إلى الإسلام قرار شخصي ناتج عن دراسة لدين الإسلام وقراءة القرآن الكريم"، كما قالت "ديامس" أنها "بتحولها للإسلام قد كسبت راحتها، وأن حياة النجومية لم تعد تصلح لها"، وأضافت: "لقد شفى هذا قلبي، أعرف الآن ماذا أفعل فوق الأرض، أعرف لماذا أنا هنا".

بعد إسلامها قامت بتغيير اسمها إلى "ميلاني"، وعن قصة إسلامها، تقول:

"لقد كنت مشهورة جدًّا، وكان لديّ كل ما يبحث عنه أي شخص مشهور، لكنني كنت أبكي بحُرقة وحدي في بيتي وعندما أنام، هذا هو ما لم يكن يشعر به المعجبون بي".

وتضيف ميلاني قائلة: "تعاطيت الحبوب كثيرًا ودخلت مصحات عقلية أيضًا حتى أستعيد عافيتي، لكن لم أنجح".

وعن السبب المباشر لإسلامها تقول: "مرة كنت مع صديقاتي، إحداهن مسلمة، سمعتها تقول: (أنا ذاهبة للصلاة وسأرجع). قلت لها: أنا أيضًا أريد أن أصلي. فأجابتني: فليكن".

وعن هذه اللحظة تقول: "كانت أول مرة أضع جبيني على الأرض، وشعرت بشعور قويّ لم أشعر به من قبل، وأعتقد الآن أن السجود ووضع الجبهة على الأرض لا يجب أن يكون إلا لله".

وعندما سألها أحد الصحفيين عن نظرتها للإسلام ومَن يتحدثون اليوم بالإسلام ويقومون بالقتل والذبح ومختلف المآسي، أجابت: "أعتقد أنه يجب الحديث عن الفرق بين الجاهل والمتعلم أو العارف، ومن لا يعرف يجب عليه ألا يتكلم في أمور لا يعرفها، فالإسلام لا يبيح قتل الأبرياء كما نرى".

وعن أول مرة لارتدائها الحجاب تقول: "بعدما أسلمت وقبل أن أرتدي الحجاب، كنت أسأل نفسي هل سأستطيع فعلاً وضع غطاء الرأس هذا، لكن في مرة من المرات، كنت أمشي وحيدة على شاطئ البحر، وتساءلت: إنّ خالق البحر والشمس هو من أمر بارتداء الحجاب، فكيف أعصيه؟! ومباشرة قررت ارتداء الحجاب".

* **　　* * * *　　* **

القصة الثالثة : اعتناق لاعب كرة القدم الفرنسي "نيكولا أنيلكا" للإسلام

قام لاعب كرة القدم الفرنسي "نيكولا أنيلكا" باعتناق الإسلام وأصبح اسمه "عبد السلام بلال".

بدأ "أنيلكا" مشواره الرياضي مع نادي (باريس سان) جيرمان، ثم انتقل إلى نادي (أرسنال)، ثم إلى نادي (ريال مدريد الإسباني)، ثم إلى نادي (ليفربول الإنجليزي)، ثم إلى فريق (مانشستر سيتي الإنجليزي)، ثم إلى نادي (فنربخشة التركي)، ثم إلى فريق (بولتون واندررز الإنجليزي)، ثم إلى نادي (تشيلسي)، فقد بدأ مسيرته الرياضية منذ عام 1997م وهو لم يتجاوز سنه السادسة عشر وقدم مجموعة من الإنجازات والأهداف منذ عام 1997م إلى يومنا هذا .

قصة إسلامه : بدأ "أنيلكا" يتعرف على الإسلام من خلال استماعه إلى الأذان وقتما كان في تركيا حيث أحبَّ صوت الأذان والمؤذنين فكان يشعر بالراحة النفسية والهدوء فور سماعه الأذان، خاصة وهو يرى المصلين يذهبون لأداء الصلاة في أوقاتها تلبية لنداء المولى عز وجل.

آثار هذا المشهد رغبة "أنيلكا" في الذهاب إلى المسجد ورؤية الإسلام عن قرب للتعمق في ثنايا الإسلام وبالفعل تحققت رغبته في الذهاب إلى أحد المساجد بإسطنبول دون أن يُخبر أي أحد من أصدقائه أو أهله بوجوده في المسجد حيث طلب الاستماع إلى القرآن الكريم وهو لم يفهم منه أي شيء ولكنه انبهر بالطريقة ومدى الراحة النفسية التي يشعر بها فور الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم.

قام "أنيلكا" بملازمة أحد المشايخ ليتعرف على الإسلام أكثر وأكثر، وكانت النهاية هي اعتناقه للدين الإسلامي.

اندهش العالم كله فور رؤية صورة "أنيلكا" وهو يؤدي مناسك العمرة حيث لم يكن أحد يفكر في أن هذا اللاعب الفرنسي سوف يعتنق الإسلام بشكل مفاجئ هكذا.

لم يخف "أنيلكا" على نجوميته في وطنه ولا في غير وطنه وأراد أن يحقق غايته وهو الاعتراف بحبه للإسلام على الرغم من أن النظرة السائدة في الغرب هي مناهضة وكُرْه الإسلام والمسلمين.

إن ما فعله "أنيلكا" شجَّع كثيرين غيره من النجوم على إظهار إسلامهم حيث كانوا قد أخفوا اعتناقهم للإسلام خوفاً على نجوميتهم ولكن "أنيلكا" أو "عبد السلام بلال" قد دمَّر هذه القاعدة من خلال خروجه لأداء مناسك العمرة.

* * *   * * * *   * * *

القصة الرابعة : اعتناق الأسيرة الفرنسية "صوفيا بترونين" للإسلام :

تعد "صوفيا بترونين" التي تبلغ من العمر 75 سنة، آخر رهينة فرنسية محتجزة في العالم، حيث تم اختطافها من قِبل جهاديين في غاو (شمال مالي) في 24 ديسمبر 2016م.

كانت "صوفيا بترونين" تدير منظمة إغاثية. وكانت كذلك تنشط في أعمال التبشير التي تدعمها الكنيسة المسيحية في مالي.

تم إطلاق سراح "صوفيا بترونين" بموجب صفقة تبادل بين الجماعات الجهادية والحكومة المالية حيث أطلقت الحكومة المالية سراح 100 جهادي مقابل "بترونين" وأحد المسؤولين الماليين.

أعلنت "صوفيا بروتنين"، المحررة في مالي مؤخرًا، إسلامها فور وصولها إلى الأراضي الفرنسية. وقالت أنها قد قررت تغيير اسمها إلى "مريم"، وأنها ستدعو وتطلب البركة من الله من أجل مالي.

إن حدث إعلان الأسيرة المحررة "صوفيا بروتنين" عن إسلامها وقع كالصاعقة على السلطات الفرنسية، وخاصة الرئيس الفرنسي "ماكرون" الذي قام بالهجوم على الإسلام والمسلمين أكثر من

مرة وفي مناسبات عديدة، وكان آخرها قبل حدث إعلان "صوفيا بروتنين" عن إسلامها بأسبوع، حيث توعد بمناهضة المسلمين في فرنسا والتضييق على أنشطتهم، كما توعد بسن قانون لهذا الغرض، وزاد تطاوله حين قال "إن الإسلام يمر بأزمة".

ختاماً أقول : إننا قد استعرضنا أربعة نماذج فقط من عشرات الآلاف النماذج التي تعتنق الإسلام في فرنسا، ولكن النماذج الأربعة لهم خصوصية خاصة.

إن النماذج التي قمنا باستعراضها قد حِيزَت لهم الدنيا بحذافيرها غير أنهم لم يَسْلَمُوا من الصراع الداخلي ولا من التشتت الذهني.

إن كل هذه النماذج قد امتلكوا كل مقومات السعادة ولكن ظلت الأرواح بداخلهم تصرخ وتئن من الجفاء، والجفاف الروحي والمعنوي، فكان لِزاماً عليهم أن يبحثوا عن ضالتهم فيما يروي عطش أرواحهم، ويضمن لهم الاستقرار النفسي والسلام الداخلي، فوجدوا ذلك كله في الإسلام.

إن كل ما سبق جعل السفير الالماني السابق في المغرب "مراد هوفمان" يقول في كتابه "الإسلام كبديل" (إن حضارة الغرب آيلة للسقوط أمام حضارة الإسلام)، وعزا ذلك إلى اختلال توازن ثلاثة مبادئ أساسية، وهي العقلانية والحرية والحب.

و أقول : هذا ديننا الذي منَّ الله تعالى علينا به، وفطرنا عليه، وهدانا إليه فيجب علينا ألا نتركه لغيره ولا نبحث عن ضالتنا في غيره فنكون (كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول).

* **   * * * *   * **

القصة الخامسة : قصة إسلام الدكتور غاري ملير[140]:

في أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزّز موقفه عند دعوته المسلمين للدين النصراني، كان يتوقع أن يجد القرآن كتابًا قديمًا مكتوبًا منذ 14 قرنًا يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك، لكنه دُهِش لما وجده فيه، واكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أيِّ كتاب آخر في هذا العالم.

140- هو الدكتور غاري ملير Gary Miller، أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في قسم الرياضيات ... كان من المبشِّرين النشطين جدًا في الدعوة النصرانية، وأيضًا هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس، وكان يحب الرياضيات بشكل كبير؛ لذلك كان يحب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور.

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي صلى الله عليه وسلم؛ مثل وفاة زوجه خديجة رضي الله عنها، أووفاة بناته وأولاده، لكنه لم يجد شيئًا من ذلك، بل الذي جعله في حَيْرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمَّى (سورة مريم)، وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد له مثيل في كتب النصارى، ولا في أناجيلهم! ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنها. وكذلك وجد أن عيسى -عليه السلام- ذُكِر بالاسم 25 مرة في القرآن، في حين أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا خمس مرات فقط، فزادت حيرة الرجل.

أخذ يقرأ القرآن بتمعُّنٍ أكثر لعله يجد ما يؤخذ عليه، ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي: {**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**} [النساء: 82].

يقول الدكتور غاري ملير عن هذه الآية: "من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء، أو تقصِّي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها، والعجيب أن القرآن يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، ولن يجدوا". ويقول -أيضًا- عن هذه الآية: "لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلِّف كتابًا ثم يقول: هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء، ولكن القرآن على العكس تمامًا يقول لك: لا يوجد أخطاء، بل يعرض عليك أن تجد فيه أخطاء، ولن تجد".

أيضًا من الآيات التي وقف الدكتور غاري ملير عندها طويلاً هي الآية: {**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**} [الأنبياء: 30].

يقول: إن هذه الآية هي بالضبط البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل عام 1973م، وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنصُّ أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سموات وكواكب، فالرتق هو الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك، فسبحان الله!

أما الجزء الأخير من الآية وهو الكلام عن الماء كمصدر للحياة، يقول الدكتور غاري ملير: "إن هذا الأمر من العجائب؛ حيث إن العلم الحديث أثبت مؤخرًا أن الخلية تتكون من السيتوبلازم الذي يمثل 80٪ منها، والسيتوبلازم مكون بشكل أساسي من الماء، فكيف لرجل أمِّيٍّ عاش قبل 1400 سنة أن يعلم كل هذا لولا أنه متصل بالوحي من السماء؟! فسبحان الله!

اعتنق الدكتور ملير الإسلام عام 1977م، ومن بعدها بدأ يلقي المحاضرات في أنحاء العالم، وكان لديه الكثير من المناظرات مع رجال الدين النصارى الذين كان هو أحدهم.

إسهامات الدكتور غاري ملير

قام الدكتور غاري ملير بكتابة الكثير من المؤلفات عن الإسلام، مثل: القرآن المذهل، الفرق بين القرآن والكتاب المقدس، نظرة إسلامية لأساليب المبشرين.

إضافةً إلى ذلك أسلم على يديه الكثير من الناس في جميع أنحاء العالم، وأيضًا كان لديه الكثير من الخبرات في أسلوب الدعوة، وقد استفاد الكثير من الدعاة من خبراته مثل الشيخ أحمد ديدات، الذي دعاه إلى جنوب إفريقيا في الماضي لإلقاء بعض المحاضرات، وإقامة بعض المناظرات [141].

* **   * * * *   * **

141- المصدر: كتاب (عظماء أسلموا) للدكتور راغب السرجاني.

المطلب الثاني

مسلمون كانوا غافلين وتابوا القرآن الكريم

هي كلماتٌ مختصرةٌ، نطق بها أصحابها تحكي أحوالهم عندما من عاشوا مع القرآن فتأثروا به فغير القرآن حياتهم[142] :

القصة الأولى : تقول إحداهن كنت أقومُ ببعض المعاصي طاعةً لزوجي، مع أنَّها محرَّمةٌ؛ تَجنُّبًا لغضبه، حتَّى قرأتُ ذات مرَّةٍ الآية: {**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النُّور:63] فارتجف قلبي، وارتعدتْ فرائصي، وبكيتُ خوفًا، وعاهدتُ اللهَ ألا أعصيه ولو غضب زوجي.

القصة الثانية : يقول أحدهم حَدَثَ بيني وبين أحد إخوتي سوءُ تفاهم؛ فأرسلَ رسالةَ جوال تحمل اتهامات باطلةً، وظنونًا سيِّئةً، وكلماتٍ مؤلمةً؛ فغضبتُ وكدت أن أدفعَ الإساءةَ بمثلها، فقرأتُ قولَ أحد ابنَيْ آدم: {**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**} [المائدة:28] فعَلمتُ أنَّ المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصْبَ عينيه، ولا تغلبه حظوظ النَّفس، وتأخذه العزة بالإثم؛ فآثرت كظمَ غيظي، والعفو عنه، والإحسان إليه.

القصة الثالثة : بدأ أحدهم حديثه قائلاً : {**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**} [يونس:3] كنتُ سابقًا أهتم في شؤون الحياة كثيرًا، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكَّرْتُ في هذه الآية؛ أيقنت أن الله جلَّ وعلا هو المدبِّر المتصرِّف في خلقه، وأنَّ على المؤمن أن يتوكَّل على الله، ويعمل بالأسباب.

* **   * * * *   * **

القصة الرابعة : قال شاب حفظتُ القرآنَ وعمري (11 عامًا)، ثمَّ ضَيَّعتُ ما حفظتُ، ثمَّ وقفتُ يومًا متدبِّرًا لهذه الآية: {**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**} [الفرقان:30]، فعَقدتُ العزمَ مستعينًا بالله؛ فراجعتُ القرآن وأتقنتُه، وحَصَلْتُ على إجازتين في الإقراء، وأصبحتُ إمامًا وخطيبًا لأحد المساجد.

142/ انتقيتها من عدد كبير من القصص من مقال : القرآن غيرني - موقع طريق الإسلام .

القصة الخامسة : قال شاب : كنتُ أستغفرُ وأتوبُ باستمرارٍ، فجاءني الشَّيطانُ قائلًا: كلُّ هذا الاستغفار! ولا فرج ولا إجابة! فتركتُ وساوسَه، فقرأتُ رسالةً عظيمةً من ربِّي، وهي قوله تعالى: {**مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**} [النِّساء:147]، فقلتُ: نعم! والله إن ربنا لغني عَنّا، وعن تعذيبِنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيرًا منها، فأَدَمْتُ الاستغفار، والحمد لله.

القصة السادسة : يقول شاب : كنتُ كثيرةَ العصيانِ في أوقاتِ الخلوة، وأشْعُرُ بالنَّدم وأنا لوحدي، وبعد فترة كنتُ مع رفقةٍ صالحةٍ، وتذكّرتُ أمري، ودعوتُ الله أن يغفرَ لي، وأمسكتُ المصحف؛ فوَقعَتْ عيني على قوله: {**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**} [الإسراء:25]، فبكيتُ، وعزمتُ على تزكيةِ نفسي؛ لتكونَ أهلًا للمغفرة.

القصة السابعة : وهي مشابهة للقصة السابقة : بدأ صاحبها قائلاً : {**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**} [الجاثية:21]، هذه الآيةُ كانت درسًا لي، عندما قرأتُها شَعرتُ كأني المخاطبة.. أريد الجنَّة، وأريد رؤيةَ الله سبحانه! لكن أين العمل؟! ومن لحظتها قرَّرتُ الاجتهادَ في العمل الصَّالح.

القصة الثامنة : وهي مشابهة للسابقتين : قال شاب : من أعظم الأشياء الَّتي كانت تصدُّني عنِ التَّوبة: تلبيس الشَّيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأنِّي صاحب ذنبٍ لا يُغتفر؛ حتَّى قرأت: {**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**} إلى: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**} [المائدة:73-74] فإذا كان اللهُ فَتَحَ بابَ التَّوبةِ لمن نَسَبَ له الصَّاحبة والولدَ فكيف بمن دونه!

* **　　* * * *　　* **

القصة التاسعة : يقول أحدهم : أنا طالبُ علم، وذاتُ مرّةٍ توقَّفْتُ عند قوله تعالى: {**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**} [الزُّمر:9] فبكيت كثيرًا على ضياع ليال كثيرة، وأنا لم أُشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربِّي ولو لدقائق، فكان هذا البكاءُ مفتاحًا لبدايةٍ أرجو أن لا تتوقف حتَّى ألقى ربِّي.

القصة العاشرة : تقول إحدى الزوجات: {**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**} [الشُّورى:37] أذْكُرُ أنني في ليلة اختلفت مع زوجي وغضبتُ، وبعد أن خَرَج من المنزل أخذتُ المصحفَ لأَقرأ، وبدون تَعمُّد

فتحتُ صفحة وبدأت أقرأ، حتَّى مررتُ بهذه الآية، ووالله لكأنَّني أوَّل مرَّة أعلمُ أنها آيةٌ من كتاب الله، فرددتها مرارًا فوجدتُ بردَها على قلبي، وهدأ غضبي وقرَّرت الصَّفْحَ عن شريكِ حياتي استجابةً لأمرِ ربّي.

القصة الحادية عشرة : تقول إحداهن : كنتُ واقعةً في ذنبٍ يشقُّ عليّ تركُه، وفي كلِّ مرة أرتكبُه يتملّكني شعور بالضِّيق الشَّديد، وفي أحد الأيَّام فتحتُ المذياع؛ فإذا بقول الله عزَّ وجلَّ: {**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ**} [النِّساء:108] يُرتِّله أحد القراء بصوتٍ مؤثِّرٍ جدًّا؛ فاقشعرَّ جسمي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

القصة الثانية عشرة : تقول ثالثة : كنتُ متهاونةً في أمر الصَّلاة، وأعيشُ في ضيقٍ، وتمرُّ بي أزماتٌ ومشاكل لا طاقه لي بها، وأتمنّى أنْ أجدَ حَلًّا.. وفي أحدِ الأيَّام سمعتُ قوله تعالى: {**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**} [البقرة:45]، فانتبهتُ و قلتُ لنفسي: إنّ ربي يأمرُني أن أستعينَ بالصَّبر والصَّلاة، وأنا لا أزال مُفرِّطةٌ؛ فكانت نهاية التَّفريط في تَعلُّقي بالصَّلاة.

القصة الثالثة عشرة : يقول أستاذ في جامعة أمّ القرى : حدثني أحدُ طلابي من الجنسيَّة الفرنسيَّة عن رحلته إلى الإسلام فقال: حين سمعتُ قوله سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ**} [الانفطار:6] شدَّتني براعة الاستهلال، والعُلوُّ والثِّقة والقوَّة المطلقة الَّتي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنَّه ليس خطابًا بشريًّا، فكانت هذه الصَّدمة البلاغيَّة أوَّل خطواتِ رحلتي إلى الإسلام .

القصة الرابعة عشرة : تقول إحدى الزوجات : هذه الآية: {**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ**} [النُّور:15] غيّرتْ حياتي.. فأصبحتْ عباداتي وشؤونُ حياتي اليوميَّة -مع زوجي وأبنائي ومع الصَّغير والكبير بل والقريب والبعيد- على أساس تعظيم شأن كلِّ طاعةٍ ومعروفٍ وإحسانٍ وبرٍّ، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسَّيِّئة والأذى مهما قَلَّل أو احتقر شأنَها الآخرين، فصِرتُ أنصحُ وآمر وأنكر بها.

القصة الخامسة عشرة : تقول زوجة أخرى : وقع بيني وبين زوجة أخي سوءُ تفاهُم، وهي الَّتي أخطأتْ في حقِّي، وبدأتُ أدعو ربِّي كيف أتصرّف؟ فوصلتني من جوال تدبُّر رسالة عن قوله تعالى: {**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ**} [المؤمنون:96] فعَملتُ بها، والآن أمورُنا أحسن.

القصة السادسة عشرة : يقول رجل : آيةٌ عشتُ معها، وأصبحتْ منهجًا في حياتي: {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**} [الإسراء:36] فإذا حدثتْني نفسي -خصوصًا إذا كنتُ خاليًا وعلى النِّت- أن أرى ما لا يرضيه سبحانه؛ جاءتْ هذه الآيةُ أمامي لتردعني.

القصة السابعة عشرة : يقول رجل : وجدتُ هذه الآية في حياتي: {**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**} [فُصِّلت:24] فكلَّما وقَعَتْ خصومة أو سوء فهم، تدبَّرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجِد تسامحًا عجيبًا، وقناعةً ورضًى عن نفسي ولله الحمد.

القصة الثامنة عشرة : يقول شاب: كنتُ في طريقي في إحدى الإجازات لفعلِ الفاحشةِ وفجأةً، تذكَّرتُ وقوفي بين يدي الله، وتذكَّرت هذه الآية: {**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**} [يس:65]، فغَيَّرت مساري، ورجعتُ لبيتي، فحمدتُ اللهَ على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذُّنوب؛ بسبب تدبُّر هذه الآية.

القصة التاسعة عشرة : يقول شاب: كنتُ متأثرًا ببعض الَّذين سلكوا منهج ما يُسمّى بـ(التَّنوير)؛ لأنِّي كنتُ أرى فيهم استقلالًا فكريًّا وشرعيًّا! فلما تدبَّرتُ كتابَ الله بتجرُّدٍ، وتأملتُ في واقعهم وتفكيرهم، استبان لي ميلهم عن المنهج الصَّحيح، ورأيتُ فيهم تمييعًا لأحكام الدِّين، وتنازلًا بسبب ضغط الواقع، فرجعتُ للمنهج الحقّ، هدانا الله وإياهم للحقّ.

القصة العشرون: يقول شاب: جَلَسْتُ مرّة مع شباب ممَّن انغمسوا في قراءاتٍ فكريَّةٍ منحرفةٍ، وسمعتُهم يستشهدون لأفكارِهم بمقولاتِ الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممَّن لم يَشمُّوا رائحة الوحي! -والابتسامة تعلو وجوههم!- فقلتُ لهم: هذه الأفكارُ موجودة في القرآن، ثمَّ تلوتُ الآيات، فتمعَّرتْ وجوهُهم، فتذكرتُ عندها قوله تعالى: {**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**} [الزُّمر:45] فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكريَّة.

* **   * * * *   * **

الخاتمة

ثلاث قصائد في الحث على الرجوع إلى تلاوة وتدبر القرآن

القصيدة الأولى

في آفاق القرآن للشاعر الإسلامي التشادي: حسب الله مهدي فضله :

حَلِّقِي يا روحُ في عَلْيَائِهِ واستَشِفِّي الحقَّ من أضوائِهِ

وانْهَلِي الإيمانَ مِن ينبوعِهِ ليس أزكَى منبعاً مِن مائِهِ

واسبَحِي ما شِئْتِ؛ لَكِنْ نحْوَهُ فالهُدَى والأمنُ في مينائِهِ

لا تُصِيخِي نحوَ غِربانِ الهَوَى كلُّ حَقٍّ فَهْوَ من أصدائِهِ

سائلِي التاريخَ عَن إعْجَازِهِ واكْشفي المكنونَ من أنبائِهِ

نَقِّبِي في قاعِهِ عَن أُمَّةٍ [143] عَدَّها مِن قبلُ مِن أقْذائِهِ

قَد رماها الشِّرْكُ في مُسْتَنقَعٍ لُوِّثَتْ فِطرتُها من دائِهِ:

أمَّةٍ لَم تَدرِ من شأن العُلا غَيْرَ نَهْبِ المالِ أوْ إفْنائِهِ

لم يكُنْ للعَدْلِ مَعْنىً عندها غَيْرُ عدلِ الذئب في بيْدائِهِ

كَمْ زعيمٍ سَادها، لكِنَّهُ لم يَزِدْ عَن نُوقِهِ أو شائِهِ!

... كيف يَرْقَى مِثْلُها للبحث عن غايةٍ لِلْكَوْنِ أو إنشائِهِ؟

بينما اسْتَلْقَتْ وخارتْ ليلةً غاب فيها الشَّرُّ في إغفائِهِ

إذ تجَلَّتْ رحْمَةُ الرحمنِ كيْ تُنقِذَ العالَمَ من إغْمائِهِ

من حِرَاءِ الْغَارِ أبدتْ مَطْلَعاً غَارتِ الأفْلاكُ مِن إعلائِهِ

مِنهُ بالْقُرآنِ شَمْسٌ أشرقتْ جَرَّدتْ ذا الكَونَ من ظَلْمائِهِ

أرسَلَتْ مِنْ آيِهِ أشِعَّةً أرْدَتِ الطاغوتَ في أحْشائِهِ

143-هذا البيت والأبيات التي تليه تصوير لحال الأمة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام، ثم حالها بعد إشراق نوره.

وارتَقَتْ بالأُمَّةِ الوَسْنَى إلى   هامَةِ التاريخِ في استعلائِهِ

أخْرَجَتْ منها أطِبَّاءَ الوَرَى   أيْن جالِينوسُ مِن كمْيائِهِ؟

هَلْ دَرَى العَالَمُ مَن أهْدَى لَهُ   مِجْهَراً للكشفِ عن أدوائِهِ؟

ثُمَّ أردَى كُلَّ فيروسٍ بِهِ   باذلاً للروح في إبْرائه؟

مَن سِوانا؟ مَنْ سِوَى أُمَّتِنَا   يَسْتَظِلُّ الكونُ في أفيائه؟!

حِينَ كُنَّا أُمَّةَ الْقُرآنِ لَمْ   نقْتَبِسْ زَيّاً سِوى أزيائِهِ

نستَمِدُّ الحَقَّ وحْياً ليس مِنْ   أدعِياءِ الْعِلْمِ أوْ أعدائِهِ

لم نغُصْ في وَحْلِ أوسلو أوْ نَتِهْ   في سَرابِ الغَرْبِ أو صحرائِهِ

حِين كان النحْلُ يشدو حاكياً   شدْوَنا في الليل في إقْرائِهِ

ثم يَقْضِي الصُّبْحَ في تقليدِنا   إن رأى التحْليقَ في أجْوائِهِ

هكَذا يا روحُ كُونِي نَحْلَةً   لَمْ تَمِلْ للنَّوْمِ أو إغْرائِهِ

دونَكِ القرآنَ روضاً ناضِراً   فارشُفِي ما شئتِ مِن أندائِهِ

قدِّمِي للكَوْنِ مِن أزهارِهِ   شَهْدَهُ المَشْهُودَ باستحْلائِهِ

لا تَرومِي غيْرَهُ رَوْضاً ؛ فكَمْ   عِفْتُ طِيباً شَذَّ عن أشذائِهِ

فالهُدَى في هديِهِ، والفوزُ في   نهجِهِ، والمَجْدُ في إعْلائِهِ

* **   * * * *   * **

القصيدة الثانية

القرآن.. يا أمة القرآن (قصيدة) للدكتور عبدالحميد أبو سعده .

كُلُّ الخَلاَئِقِ فِي حِمَى الدَّيَّانِ وَكِتَابُهُ هَدْيٌ عَظِيمُ الشَّانِ

يَا أُمَّةَ القُرْآنِ إِنَّ كِتَابَكُمْ لَهُوَ الشِّفَاءُ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

وَهُوَ الدَّوَاءُ لِكُلِّ جُرْحٍ غَائِرٍ وَهُوَ المُحَارِبُ نَزْغَةَ الشَّيْطَانِ

وَهُوَ البَلاَغَةُ وَالفَصَاحَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الحَضَارَةُ فِي عُلُوِّ مَكَانِ

اقْرَأْ كِتَابَ اللهِ وَافْهَمْ حُكْمَهُ تُدْرِكْ عَطَاءَ اللهِ فِي إِحْسَانِ

فَهُوَ الخِطَابُ لِكُلِّ عَقْلٍ نَابِهٍ وَهُوَ الضِّيَاءُ بِنُورِهِ الرَّبَّانِي

يَهْدِي إِلَى الخَيْرِ العَمِيمِ وَإِنَّهُ أَمْنُ القُلُوبِ وَرَاحَةُ الأَبْدَانِ

قَدْ أَنْزَلَ القُرْآنَ رَبٌّ حَافِظٌ لِيُعَلِّمَ الإِنْسَانَ خَيْرَ بَيَانِ

اقْرَأْ كَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ تَعَلُّمًا وَانْبِذْ طَرِيقَ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ

الجَاهِلُونَ قَدِ افْتَرَوْا بِحَمَاقَةٍ لِإِهَانَةِ القُرْآنِ فِي إِمْعَانِ

قُرْآنُكُمْ يَا مُسْلِمُونَ مُحَارَبٌ وَمُهَدَّدٌ بِقَذَائِفِ البُهْتَانِ

قَدْ بَدَّلُوا الآيَاتِ بَعْدَ نُزُولِهَا وَمُعَارِضِينَ هِدَايَةَ القُرْآنِ

لَمْ يُؤْمِنُوا بِفَصَاحَةٍ وَبَلاَغَةٍ بَلْ جَاهَرُوا بِالْحِقْدِ وَالعِصْيَانِ

إِنِّي أَنُوحُ مَهَابَةً بَلْ خَشْيَةً مِنْ خَالِقِ الآفَاقِ وَالأَكْوَانِ

مَنْ ذَا يُدَافِعُ عَنْ كِتَابٍ خَالِدٍ مَنْ ذَا يُؤَمِّنُ سَاحَةَ الفُرْقَانِ

يَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ أَيْنَ جِهَادُكُمْ وَدِفَاعُكُمْ عَنْ حَوْزَةِ القُرْآنِ

فَكِتَابُكُمْ جَمَعَ الهِدَايَةَ كُلَّهَا وَكَذَا العُلُومَ لِسَائِرِ الأَزْمَانِ

إِنِّي أُحِبُّ المُتَّقِينَ بِقُوَّةٍ وَأُحِبُّ مَنْ يَحْمِي حِمَى الرَّحْمَانِ

سِيرُوا إِلَى الهَدْيِ العَظِيمِ بِهِمَّةٍ وَتَسَلَّحُوا بِعَقِيدَةِ الإِيمَانِ

فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا لِكِتَابِهِ   وَهُوَ القَوِيُّ بِعِزَّةِ السُّلْطَانِ

القصيدة الثالثة

أرجوزة عَرْف العَنْبر في نظم مفاتِح التدبر

محمد آل رحاب

حمداً لَمَن خيرَ الكلام نَزَّلا   والشكرُلله تعالى أولا

ثم صلاتنا مدى الأزمان   على الذي خص بذا القرآنِ

نبينا محمد وآلهِ   وصحبه وتابعي منوالهِ

وبعد إن هذه أرجوزة   لطيفة في بابها وجيزة

سميتُها - يا صاح - عَرْفَ العنبرِ   ضمنتها مفاتحَ التدبرِ

وهْي التي أفادناها خالدُ   اللاحم الكريم ذاك الماجدُ

في سِفره: مفاتح التدبرِ   مع النجاح في الحياة فاذكر

مقتصرا فيه على المفاتح   فقطْ لقصد الاختصار الواضحِ

ومن أراد الشرح فليراجعِ   الأصل، كم به من المنافعِ

أسأل الله الكريم الصمدا   والعون والتوفيق ثم المددا

فصل

أولها - صاحِ - بلا نكرانِ   اعلم هو:الحب لذا القرآن

والثانِ: الاستحضار في التلاوةِ   ما هي أهدافك للقراءة؟

وثالثٌ: حفظك للقرآنِ   تقرأ مِن حفظٍ بلا توان

والرابع: القيام بالقرآنِ   فإنه الأقرب للإمعانِ

وخامسٌ: قراءة بالليل   حالَ الفراغ من جميع الشغْل

والسادس: الجهر مع التغني   يثبِّتُ المعنى - أخي - في الذهنِ

والسابع: الترتيلُ ذاك فاعرفوا   والثامن: التَّكرار والتوقفُ

والتاسع: التحزيبُ، ثم العاشرُ الربطُ الاقترانُ، هذا الآخِرُ

الخاتمة

افتح لنا اللهم فهْمَ الذِّكرِ واشغل به القلبَ وكلَّ الفكْرِ

يا ربّ يا ذا الجود والإحسانِ زيّن حياتنا بذا القرآنِ

نَوِّرْبه قلوبَنا وعَمّرِ به الصدورَ، والذنوبَ طهرِ

واجعله مؤنساً لدى القبورِ وشافعاً لنا لدى النشور

أعلِ به المقام في الجنانِ وهذه خاتمةُ الإحسانِ

نظمتُها بثغرجُدة الأبي في جلسةٍ قبل المنام - صاحبي -

بعد انتها مقرأةِ القرآن في بيتِ أحمدَ الكريمِ الشان

أعني به أخي: أبا بلالِ ابنَ جمالٍ طيبَ الخصالِ

أكرمه الله بما يُرضيهِ وأهلَه وكلَّ مَن يلِيهِ [144].

144- قال الناظم : تم تبييضها في الطريق إلى ثغرتبوك الإثنين غرة ذي القعدة الحرام ١٤٣٨ هـ ،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف البريات، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى الممات أفضل الصلوات وأزكى التسليمات وأستغفرالله لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين والمسلمات.

ثم قال : عناوين المفاتح العشرة نثراً من كلام الشيخ اللاحم .

1- المفتاح الأول: حب القرآن

2- المفتاح الثاني: استحضار أهداف قراءة القرآن

3- المفتاح الثالث: حفظ القرآن وقراءته حفظا

4- المفتاح الرابع: القيام بالقرآن

5- المفتاح الخامس: أن تكون القراءة بالليل

6- المفتاح السادس: الجهر بالقرآن والتغني به

7- المفتاح السابع: الترتيل

8- المفتاح الثامن: التكرارومراعاة الوقوف

9- المفتاح التاسع: التحزيب

10- المفتاح العاشر: الربط والاقتران(نقلا عن شبكة الأوكة) .

اللهم إني عبدك و ابن عبدك و ابن أمَتِك، ناصيتي بيَدِك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو أنزلتَه في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندَك أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونورصدري، وجلاء حزني، وَذهاب همي [145].

تمَّتْ ولله الحَمْدُ والمنَّةُ

145/ أخرجه أحمد رقم: (3712) وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة رقم: (199) وشعيبٌ الأرناؤوط .

ملحق

عناوين رسائل المجموعة الثالثة [11 - 15]

الرسالة الحادية عشرة : تَنْبِيهُ أَهْلِ الإيمَانِ إِلَى جَمَالِ التَّعلُّقِ بِالقُرآنِ (تَعظِيمُهُ والخُشُوعُ عِنْدَ تلاوتِهِ وَرُوُحَانِيَّاتُهُمَا و أَثَرُهُمَا فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ) .

الرسالة الثانية عشرة : إِتْحَافُ الإِخوَةِ والأخَواتِ بالصَّلاةِ على سَيِّدِ السَّاداتِ ﷺ (بيانُ مَعانِيهَا وحُكْمِهَا وصِيغتِها ومَواطِنِهَا وفَضَائِلِهَا وَرُوحَانِيَّاتِها وفوائدِها و أثرِهَا فِي تَفريجِ الهمِّ وغُفرَانِ الذَّنبِ) .

الرسالة الثالثة عشرة : أفضل الصلوات على أسعد المخلوقات سيدنا محمد ﷺ (بيان شمائل النبي ﷺ وخصائصه وفضائله ومعجزاته من خلال عدد من صيغ الصلاة عليه ﷺ) .

الرسالة الرابعة عشرة : الدُّعَـاءُ استمدادٌ للتَّوفِيقِ مِنْ ربِّ الأرضِ والسَّمَاءِ (حَقِيقَتُه وفَضَائِلُه وأسْبابُ إِجَابتِه ومَوانِعِها و أثرُه فِي تَزكِيةِ النَّفْسِ).

الرسالة الخامسة عشرة : الحِكَمُ الْغَزَالِيَّـةُ (225/ حِكْمةٍ مَجْمُوعةٌ مَنْ كَلامِ حُجَّةُ الْإِسلامِ الغَزالِي).